محمد جواد مغنية



نفحات محمدية

تفسير أحاديث للرسول الأعظم

دار الجواد

دار ومكتبة الهلال

محمد جواد مغنية



دار ومكتبة الهلال

دار الجواد

دار ومكتبة الهلال
بيروت - لبنان
ص.ب: ٣..٥/١٥


دار الجواد
بيروت - لبنان
ص. ب ٥٨١٣-١٤
تلفون : ٣٠٠٧٤٨

كلمة النـــاشـــر

كتاب «نفحات محمدّية» ثاني مخطوطة من تأليف الشيخ محمد جواد مغنية تصدرها دار الجواد بعد وفاة المؤلف، وكانت المخطوطة الأولى «تجارب محمد جواد مغنية بقلمه» صدرت قبل هذا الكتاب بشهرين فقط. والنية الآن ان تدفع دار الجواد بالمخطوطة الثالثة «إسرائيليات» الى المطبعة، وهكذا نكون على العهد في نشر فكر وتراث الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله سائلين المولى تعالى أن يوفقنا ويأخذ بيدنا لما فيه مرضاته، ومن أجل خدمة الإسلام والمسلمين.

دار الجـــواد

المقدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله على إفضاله، وصلاة على الرسول وآله

الأئمة رواة

وبعـــد

فقد كان المفروض أن ينتقل بي القلم من كتاب «في ظلال الصحفة السجادية» إلى كتاب «من آثار أهل البيت». هكذا كان العزم، ولكن شاءت الظروف أن يكون كتاب «الخميني والدولة الإسلامية» الذي نشرته دار العلم للملايين، هو الأسبق في الترتيب.

وإذا أخرت الظروف المقدم فقد غيّرت اسمه أيضاً حيث لاحظت، وأنا أبحث وأنقب عن آثار أهل البيت (ع) أن أقوالهم بالكامل هي رواية

ثابتة صائبه عن جدهم رسول الله (ص) . ومن أجل هذا جعلهم عدل القرآن حجةً وهدايةً ، كما في حديث الثقلين ، وقد أعلنوا ذلك مرات في أساليب شتى ، وحذروا شيعتهم أن يظنوا بهم أكثر من حفظه وحماة لما جاء به جدهم الأعظم (ص). ومن ذلك قولهم :

«والله ما معنا من الله براءة ، ولا بيننا وبين الله قرابة ، وما لنا على الله حجة ، ولا نتقرب إلى الله إلا بالطاعة ، فمن كان منكم مطيعاً لله نفعته ولا يتنا ، ومن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولا يتنا . . . فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله . . . ما حدثناكم عن شيء فعن جدنا رسول الله نحدث ، ولو كنا نحدثكم برأينا وهو انا لكنا في الهالكين»

ومراعاة للوئام والانسجام بين اللفظ ومعناه عدلت عن اسم «من آثار أهل البيت» الى «نفحات محمدية» علماً بأن المحتوى واحد وإن اختلف العنوان. وذكرت الأحاديث بين قوسين «. . .» في صدر الكلام ، وشرحتها بطريقة موجزة موّضحة يفهمها القارىء العادي والمتعلم على السواء .

الإسلام

الإسلام عقيدة ومصدرها العقل ، وعبادة ودليلها الوحي ، وشريعة بمعناها الشامل للمعاملات والأخلاق والمواعظ ، وتستمد هذه الشريعة الغراء وجودها وصدقها - ما عدا العبادات - من واقع الحياة وملاحظتها ، وليس للشرع الإسلامي فيها إلا التقرير مع التقليم والتطعيم على أساس العدل والمساواة والتعاون على مصلحة الجميع وعدم العسر والحرج . وسبقت الإشارة إلى ذلك في فصل الأغنياء والفقراء فقرة هل للإسلام نظام اقتصادي؟

ومن هنا جاء الفرق بين شرع الإسلام وغيره من الشرائع الوضعيّة لأن هذه تقر العادات والأعراف على علاتها كوأد البنات في الجاهلية وإباحة اللواط في الشريعة الإنكليزية، أما الشريعة الإسلامية فلا تقر إلا ما فيه خير وصلاح، وتنهى عما فيه شر وفساد، وتأتي بجديد مفيد. ومن هنا كان لها صفة الدوام والثبات والصلاح لكل عصر ومجتمع. ولا شيء في تعاليم الإسلام ونبيه (ص) أدل على هذه الحقيقة، ومنها ما يجده القارىء في هذه الصفات.

هذه الصفحات

وهي لا تحوي كل ما نطق به الرسول الأعظم (ص) من حكم ونصائح وأيضاً تعمل إلى الكشف عن كل حقيقة انطوت عليها ورمت إليها حكمة من حكمه التي جاءت في هذا الكتاب، لأن هذه المحاولة تستغرق مجلدات ضخمة وعديدة. وإنما الهدف الأول من هذه الصفات أن يقرأها الشباب المسلم الذي لا يعرف عن الإسلام إلا رسمه وعن نبيه إلا اسمه[1] وأن يمضي في قراءتها بلا سأم وملل، ولهذا الغاية بالذات اخترت من فيض الرسول (ص) طرفاً من كلماته القصار الجذابة في أسلوبها، الأخاذة في محتواها، لأنه حقيقة واقعة يحسها كل إنسان من أعماقه، ويحياها في أفعاله.

وهو سبحانه المسؤول أن يوفقنا إلى التي هي أزكى وأرضى. والصلاة على النبي المصطفى وآله الأطهار.

---

(١) في كتاب الاسلام في نظر العرب ص ٣٠ قال بايرد دودج الرئيس الأسبق للجامعة الامركية في بيروت: «يلوح لي أن هوليود قد أثرت في الجيل الحاضر من المسلمين أكثر تأثير مدارسهم الدينية».

الفصل الأول

نبوّة محمّـــد

حــول شخصية الرسول الأعظم

قبـل الحديث عن نفحات الرسول (ص) وعبقاته، ابـدأ **هذا** الحديث عن شخصيته وعظمته، وهي مجال خصب لكل باحث منصف مسلماً كان أو غير مسلم، وما من شك أن شهادة غير المسلم هنا أثقل وزناً وأبعد أثراً من شهادة المسلم، لأنها وليدة البحث الدقيق والفكر البعيد عن الهوى والتعصب، وفيما يلي أعرض جانباً من آراء قادة الفكر الأوروبي ونظرتهم إلى نبي الإنسانية ودعوته ورسالته:

قال برناردو شو: «إن رجلاً مثل محمد لو تسلم زمام الحكم المطلق اليوم في العالم كله لتم له النجاح في حكمه، وقاده إلى الخير وحل مشاكله بوجه يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة».

وقال ديورانت صاحب قصة الحضارة: «إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا: إن محمداً كان أعظم عظماء التاريخ، وفي العدد ٢٤١ من مجلة العربي الكويتية مقال للأستاذ أحمد

بهاء الدين، جاء فيه: «ظهر أخيراً في الولايات المتحدة كتاب جديد للدكتور «مايكل هارث» وموضوعه أهم مئة رجل في التاريخ الإنساني كله، وقد أخذ المؤلف على نفسه أن يرتب المئة في الذكر تبعاً لأهمية كل واحد منهم، فالأول عظمة هو الأول ذكراً، وقد اختار الأول من المئة محمداً. ويدلنا هذا - كما قال بهاء الدين - أن المؤلف على درجة عالية من التجرد وعدم الانحياز لأنه مسيحي علماً بأنه جعل المسيح في الرقم الثالث وموسى في الرقم السادس». ويطالع القارىء مقال حول هذا الموضوع في الصفحات التالية . إلى كثير من هذه الشهادات المدونة في بطون الكتب وعلى صفحات المجلات والجرائد، وأيظاً في كتب الغرب أكاذيب وافتراءات على الإسلام ونبيه عن تعصب وحقد وسوء القصد... وأفضل السبل لدحض كل شبهة وفرية أن ننشر الإسلام كما هو في واقعه على العالم كلـه بشتى الأساليب وفـي جميع اللغات، لأن الحقيقة إذا ظهـرت جلية فعلت فعلها، وأثرت أثرها حتى في نفوس الأعداء الألداء.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في الآية ٢٦ من فصلت: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾. فقد كان عتاة الشرك من قريش يصدون الناس عن محمد (ص) والاصغاء إلى القرآن كيلا يدينوا بالإسلام من حيث لا يشعرون حتى الوليد بن المغيرة أحد رؤوس الشرك وقف مأخوذاً حين سمع آيات من الذكر الحكيم وقال: سمعت من محمد كلاماً، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه.

وفي كتاب المذاهب الكبرى في التاريخ تأليف: «ألبان ج.

ويدجيري» ترجمة ذوقان قرقوط ص ١٣١ : «أما محمد فقد كان آخر الأنبياء وأهمهم جميعاً. كذلك تجد الإنسانية في القرآن قواعد سلوكها، وفي الصلاة الاتصال بالله. وبالتالي فإن تنزيل القرآن يشكل نقطة انعطاف في التاريخ».

وهكذا يفرض القرآن عظمته على علماء وفلاسفة غرباء مشهورين كتبوا في تاريخ الإنسان والأديان والمذاهب، وشهدوا عن علم اليقين أن القرآن أحدث انقلاباً عالمياً في العقا ئد والمناهج والشرائع والسلوك والأخلاق، وما من أحد يستطيع أن ينقض أية حقيقة من حقائقه. وصدق الله العلي العظيم: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ [٨٨ الإسراء].

وأيضاً لا امة في الكون إطلاقاً تنافس المسلمين في شخصية نبيهم محمد (ص) وعظمته وجهده ورسالته. وقلت في بعض ما كتبت ونشرت: لو جاء بالإسلام غير محمد أو جاء محمد بغير الإسلام والقرآن، ما كان للرسالة ولا للرسول هذا الأثر والوزن، ولا قال الأجانب المنصفون في الإسلام ونبيه ما قالوا. وإذا كان المسلمون على ما هم عليه فالعيب فيهم لا في الإسلام، لأن الدين القويم لا يتسبب في التقهقر والتخلف.

لقد ولى عصر التفرقة، والعصبية الدينية والمذهبية والعنصرية، وأصبحنا في عصر الفضاء والذّرة الذي قرب بين الشمس والأرض، وبين الجهات الست حتى أصبحت كأنها جهة واحدة، وما زلنا نحن المسلمين نجد بيننا من يثير الفتن ويدس الدسائس، وهو يحن إلى الأجنبي الطامع، وإلى هذا النشوء الذي يفرّ من شيوخه ورجال دينه

فراره من الأسد، لقد ظن بعض الشباب بنا الظنون، وقال عنا فيما قال، وفي جملة ما قرأت: (ان الأنبياء كانوا مجددين حقاً، لأنهم ثاروا على القديم، غير أن أتباعهم المتمرسين على فهم الدين ونشر تعاليمه بقوا محافظين على ذياك القديم بالرغم من مرور القرون، وبهذا استحال الدين من أنبيائه المجددين الى رجاله الجامدين، لأن الفكرة التي تكون جديدة بالقياس الى عهدها تصبح قديمة بالنسبة إلى ما بعدها).

والحقيقة ان فينا من أعان هذا القائل علينا وعلى الدين وأسعفه بالأدلة والبراهين، ولكن الذي يهوّن الخطب أن الجامدين منا لا يمثلون رجال الدين بكاملهم، وان الإسلام لا يؤخذ من أفواه أمثالهم، وإنما يؤخذ من كتاب الله وسنة نبيه ومن بديهة العقل، ومن القادة المخلصين الذين أدركوا الدين كما هو في واقعه، لا كما يتصوره زيد وعمرو.

إن الأنبياء كانوا يكافحون الموبقات وهي في هذا العصر كلها ترجع إلى سبب واحد لا غير هو الحضارة المادية من ماركسية ورأسمالية وترجع أيضاً إلى سبب الصهيونية والامبريالية الأمريكية. فعلينا أن نجارب هذا السبب ونكافحه في الصحف والخطب والأندية الخاصة والعامة، وبهذا نؤدى رسالة الدين بأمانة واخلاص، ونكون مجددين كالأنبياء والمرسلين الذين ثاروا على الأوضاع الفاسدة، وناضلوا من أجل العدل والمساواة والسلام.

والإسلام نشأ بحمد الله، لخير الإنسان وحريته وسعادته، وللثورة على الظلم والفساد، فالإسلام إذن جديد أبداً ودائماً كالشمس والماء والهواء، ورجاله، مجددون في كل عصر ما داموا مع الحقيقة التي لا تقاس بمقاييس الأهواء والرغبات.

محمد والقرآن

القرآن ومعجزات الانبياء

قالوا: كان لكل نبي معجزة تفسرها حوادث عصره وتعين نوعها الظروف التي كانت تحيط به، ثم تذهب بذهاب تلك الظروف والحوادث، او بموت النبي كعصا موسى، وابراء الاكمه والابرص على يد السيد المسيح، اما معجزة الرسول الاعظم فهي القرآن، والقرآن باق على مدى الايام، وقد تفرد بهذه الفضيلة نبينا محمد وامتاز عن سائر الانبياء.

وهذا القول صحيح وصادق في واقعه، ولكن لا يواجه به غير المسلم بخاصة المتعصب المتعنث، لأن له ان ينكر ويقول: اول الكلام ان القرآن معجزة تثبت نبوة محمد.

والذي يجب سلوكه مع المنكر هو ان نقول له: ان القرآن تتوافر فيه جميع الصفات والمؤهلات التي تجعله موضوعا للبحث والدرس في انه هل هو معجزة خارقة للعادة شكلا ومضمونا في كل مكان وزمان، وعلى

مدى العصور والاجيال، اولا شيء فيه من هذه الصفات والمؤهلات، بل ان حاله تماما كحال الانجيل والتوراة. وغيرهما من المؤلفات والمصنفات؟.

وليس من شك ان غير القرآن من الكتب.. حتى التوراة والانجيل لا تتوافر فيه هذه الصفات والمؤهلات. وبالتالي لا يصح ان يكون موضوعا لهذا النزاع والاختلاف.. والدليل على ذلك حسي ويقيني من وجوه، وهي:

اولا: انه ما من يهودي او نصراني تجرأ حتى على الدعوى والزعم بان توارته او انجيله معجزة، او شبه معجزة.. لا في مبناه ولا في معناه.. وايضا ليس في واحد من الكتابين تصريح بذلك ولا تلميح على عكس القرآن، كما ترى في الآيتين التاليتين:

ثانيا: ان القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي تحدى المعاندين له في كل زمان ومكان، وقال لهم بلسان واضح وفصيح: ﴿فأتوا بسورة من مثله وادعوا شركاءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا﴾[٢٤ البقرة].

وقال ايضا ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهير﴾[٨٨ الاسراء]. ومضى على هذا التحدي أكثر من الف وثلاث مئة سنة، وما اتى ولن يأتي احد بمثله على الرغم من كثرة خصومه وعلمهم ومقدرتهم. ومن أجل هذا آمن به علماء وفلاسفة كثيرون ولا يزالون يدخلون في دينه، ولن يزالوا على مدى العصور والاجيال.

ثالثا: كل معجزة من الانبياء كانت خاصة بعصره وتاريخ قومه لا

تتعداه الى غيره. كعصا موسى، واحالة الماء خمرا في عرس «قانا الجليل» على يد السيد المسيح، كما قال الانجيل ، او ابرائه الاكمه والابرص كما يقول القرآن..

ولا شيء على الاطلاق في الدنيا بكاملها نطق بلسان المقال او الحال، وتجرأ ان يقول : انا المعجزة الكبرى مدى الدهر الفلان ابن فلان، وان الله قد اوجب على جميع عباده بلا استثناء طاعتي وطاعته، وهذا دليلي البالغ القاطع، وهو التحدي.. ابدا لا قائل بهذا الا القرآن الكريم، معجزة محمد الخالدة على مدى العصور والاجيال.. ذلك بانه ﴿كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾[١ـ هود].وبه آمنت، وصدقت ملايين الملايين على مدى القرون.

وبهذا يتبين معنا ان المعجزة التي يدعيها المسلمون لمحمد (ص) ليست عصا، ولا ماء يحول الى خمر، ولا اي لون من الوان المادة التي تذهب وتزول مع الاحوال والايام، بل هي روحية عقلية، لها مبادىء واحكام انسانية تطمئن بها النفوس، وتذعن لها العقول، وتصلح لحياة الناس كل الناس في جميع الميادين، وعلى كر العصور واختلاف الامم، لانها تهادي باسبها الى التي هي اقوم، ومن ارتاب وتردد قالت له معجزة محمد:﴿فاتوا بسورة من مثله﴾.

هذا هو الفارق بين معجزة محمد، ومعجزة غيره من الانبياء وبهذه المعجزة اي بالقرآن ونظامه وشريعته كا ، محمد سيد الانبياء وخاتمهم، وكانت رسالته عاملة وخالدة الى آخر يوم تمـ ـا كمعجزته.. ﴿وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾[٢٤ فاطر].

﴿وما ارسلناك الا رحمة للعالمين﴾[١٠٧ الانبياء] اما الانبياء

السابقون فشريعتهم خاصة كمعجزاتهم، والذي يؤيد هذا انه لا اشارة في التوراة او في الانجيل الى ان موسى او عيسى هو رسول الله الى الناس كافة على تعاقب عصورهم، وتباين لغاتهم، او أنه خاتم النبيين، ولا احد من الانبياء السابقين - على محمد - وصف رسالته بالعموم والشمول، او نفسه بخاتم المرسلين، بل منهم من بشر بمحمد من بعده، وتأتي الاشارة الى ذلك.

هل لمحمد معجزة غير القرآن ؟

يرى البعض انه لا معجزة لمحمد (ص) الا القرآن ، اما نحن فنؤمن بان معجزاته لا يبلغها الاحصاء، ذلك بان على الحكيم ان يخاطب كل قوم بلغتهم، وبما تستسيغه عقولهم كي تتم الحجة عليهم، الا كانت الحجة لهم عليه، ولا تتم الحجة بحال، ويستحيل ان تتم الا اذا كانت صحيحة في نفسها، وواضحة في بيانها واسلوبها كنور الشمس بحيث لا تدع منفذا لاية شبهة في ذهن المخاطب. والا فان « الحدود تدرأ بالشبهات». . وبحيث يعد المنكر مكابرا ومتعنتا في نظر العقلاء جميعا. واشرنا الى ذلك في بعض ما تقدم.

وعلى هذا ينبغي ان تتنوع المعجزة وتختلف باختلاف الموارد والاشخاص، كما استدعت حكمته سبحانه ان يباهل نبيه الكريم نصارى نجران. . هذا اذا كان طالب المعجزة يبتغيها بصدق ، واخلاص ، اما الكاذب المتعنت الذي لا يجدي معه شيء فيقتصر معه على القرآن، لأن اعجازه عام لا يختص بعصر دون عصر، ولا بفئة دون فئة، او بفرد دون فرد.

والذي يدلنا على ان معجزات الرسول الاعظم (ص) متعددة

ومتنوعة ان رجل الدين فيما مضى كان يستدل على نبوة محمد بما جاءت به الاخبار من تكلم الحصى، وسعي الشجرة اليه، ونبع الماء من بين اصابعه. الى غير ذلك من المعجزات التي انهاها بعضهم الى اربعة آلاف واربعمئة واربعين معجزة، كما في البحار وكان الناس يتقبلون هذا آنذاك، اما اليوم حيث يتطلع العالم الى حياة افضل فانا نستدل على نبوة محمد (ص) ـ فيما نستدل: بأنه خاطب العقل وحارب الجهل، وساوى بين الناس، ووقف مع المستضعفين، وقاوم الطغاة المترفين. واخرج بشريعته وتعاليمه العالم من ظلمات التوحش والهمجية الى نور الحضارة والمدنية، وبفضله نزع رعاة الابل التيجان عن رؤوس الجبابرة، والقوا بها تحت اقدامهم.

وقد تستدعي الحكمة ان لا تعرض المعجزة على الشخص اطلاقا، كما لو اكتفى بمجرد شعوره واحساسه، فقد روى الرواة، وفيهم ابن حنبل والبخاري ومسلم.

«ان رسول الله (ص) بينا هو في المسجد اذ دخل رجل. وقال: ايكم محمد؟.

فارشد اليه. وقال الرجل لمحمد (ص): اني اسألك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد على في نفسك.

قال النبي: سل ما بدا لك.

قال الرجل: اسألك بربك، ورب من قبلك: هل ارسلك الله الى الناس كلهم؟.

النبي: اللهم نعم.

الرجل: انشدك الله: هل امرك ان تصوم هذا الشهر من السنة ؟.

اليوم والليلة؟

النبي : اللهم نعم.

الرجل: انشدك الله: هل امرك ان تصوم هذا الشهر من السنة ؟ .

النبي : اللهم نعم.

الرجل: انشدك الله: هل امره ان تأخذ الصدقة من اغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟.

النبي : اللهم نعم.

الرجل: آمنت بما جئت به، وانا رسول قومي اليك، انا ضمام ابن ثعلبة اخو بني سعد بن بكر.

والخلاصة: ان معجزات الأنبياء على نوعين: خاصة كابراء الأكمة، وعامة كالقرآن، ومعجزات الأنبياء السابقين كلها خاصة لا تتعدى زمانها، وما لواحد منهم معجزة تشمل وتعم، اما محمد (ص) فله معجزات خاصة، كثيرة ومتنوعة، وله وحده المعجزة العامة الخالدة، وهي القرآن، ويأتي الكلام عن اعجازه.

اما قول من قال بانه لا معجزة للرسول الأعظم الا القرآن لأن غيره يتنافى مع قانون الطبيعة اما هذا القول فرده **أولاً**: بأن اعجاز القرآن يتنافى ايضاً مع طبيعة الإنسان، والا امكنه ان يأتي بمثله. **ثانياً**: بان الطبيعة بما فيها من كائنات ترجع الى أصل واحد، هو الله، وارادة واحدة، هي ارادته التي تقول للشيء: كن فيكون. . . وما من كائن على الاطلاق له مع الله سبحانه ارادة ولا قانون ولا خصائص، ولا أي أثر، بل لا وجود أيضاً. . وله مع غير الله وجوده وخصائصه، وآثاره، هذا هو الجواب الحق فيما نعتقد، وما عداه أوهام وتكثير كلام.

وتجدر الاشارة الى ان المعجزة ليست من باب العجز في المقدور،

لا في القادر كاجتماع النقيضين او ارتفاعهما، وكدخول الجمل في سم الخياط، والالم يكن للمعجزة من موضوع، وكان الكلام عنها جنون وهراء.

نبوة محمد ورسالة الإسلام:

وجّه الي هذا السؤال شيخ افريقي يطلب العلم في قم .. وفي اللحظة الأولى لسؤاله تبادر الى ذهني انه يشعر بمسؤولية الدفاع عن دينه، وانه يرغب الي ان امده وازوده بما املك من وسائل الدفاع، فاجبته، وانا أشرح هنا وأفصل ما أجملته هناك، لأن الكتابة بعد التفكير غير الجواب السريع، اجبته وقلت: ان الإسلام هو رسالة محمد بالذات (ص) على انها وحي من الله، لا صنع محمد، واصدق الادلة على هذه الحقيقة هو القرآن الكريم، وما على المشك والمتردد الا ان ينظر اليه بروية وامعان، فان توافرت فيه خصائص الوحي من الله فالإسلام حق وصدق، والا فلا وحي ولا إسلام.

ونحن نسأل من تشكك وارتاب في نبوة محمد (ص) ورسالته، أو قطع وجزم بذلك بلا تردد، نسأله هل أنت من الذين ينكرون وجود الله من الأساس كالماديين، أو من الذين يؤمنون بوجوده، وينكرون ان يكون لله وحي، وللإنسان بعث كأصحاب الدين الطبيعي أو أنت من الذين يؤمنون بالله وكتبه ورسله، ولكن ينكرون نبوة محمد ورسالته بالخصوص كالنصارى. فان كنت من النوع الأول فلا يحق لك ان تجادل وتخاصم في النبوات والكتب السماوية فضلاً عن القرآن ونبوة محمد (ص) ولك كل الحق ان تطالب بالدليل على وجود الله. وقد أوضحناه في فصل سابق، فان اقتنعت فذاك، والاّ قلنا مع نبينا الاكرم «لكم دينكم ولي دين». وان كنت من النوع الثاني فنفس الشيء، ولك

ان تطالب بالدليل على وجوب الإيمان بكتب الله ورسله، وقد ذكرنا في الفصل المتقدم بعنوان النبوة.

وان كنت من النوع الثالث أي تؤمن بالله وكتبه ورسله، ولكن تنكر نبوة محمد، وتقول: ان القرآن بشري، لا إلهي، ان كنت هكذا سألناك هل تعتقد بان بالقرآن من عند محمد وابداعه بالذات، أو تعتقد بان محمدا اخذه من مخلوق مثله. والفرض الأول ابعد من كل بعيد، لأن تفسير أي كتاب وتقييمه والحكم عليه يجب ان يكون في ضوء شخصية مؤلفه وظروفه الاجتماعية، وما سبقه واحاط به من عوامل تؤثر في عقله وعاطفته، ومهما كان الإنسان قوياً في شخصيته، وعبقريا في مواهبه فيستحيل عليه ان يتحرر من جميع آثار البيئة التي عاش فيها حتى كأنه غريب عنها لأن الإنسان ابن الأرض التي ولد منها وعاش عليها.

وعليه، فإذا قارنا بين القرآن شكلاً ومضموناً، وبين بيئة محمد وعواملها تبين معنا ان الفرق بينهما هو عين الفرق بين العلم والجهل، والظلم والعدل، والحق والباطل، والهدى والضلال، وقد أشار القرآن الى هذا بقوله: ﴿هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (أول الجمعة). كانوا في ضلال مبين من الشرك وتعدد الآلهة، ولما جاءهم محمد (ص) بالتوحيد عجبوا وقالوا: «هذا ساحر كذاب اجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا لشيء عجاب»

وكانوا يحللون الربا والزنا والخمر والميسر، والكذب والغيبة، والسلب والنهب، وقتل النفس المحرمة، كما تنابزوا بالألقاب، وتعصبوا للانساب، وتفاخروا بالأموال والأولاد وقطعوا الارحام، ووأدوا البنات خوفا من العار، وقتلوا الاولاد خشية الاملاق وجعلوا المرأة في عداد

الحيوانات. الى آخر الرذائل والبربرية التي حرمها محمد وانكرها اشد الانكار على قومه واهل بلده ولاقى منهم لذلك من الوان الأذى ما لم يلقه نبي من قبله. . اذن فاين وجه الشبه بين محمد وبيئته وما هي الأفكار التي استوحاها وتأثر بها من ظروفه ومحيطه. واذا كان محمد بأفكاره وميوله انعكاساً لبيئته وتقاليد قومه فلماذا جيشوا الجيوش لحربه وقالوا عنه فيما قالوا: ساحر وشاعر ومجنون وكذاب واذا اضفى النبي الصبغة الدينية على دعوته ليستجيب اليه العرب عن هذا الطريق كما قال احد المستشرقين اذا كان هذا صحيحاً فلماذا سفه النبي احلامهم وسب آلهتهم التي يعبدون وآباءهم الذين يقدسون؟

لقد كانت دعوة رسول الله (ص) غريبة لدى العرب. . تفوق عقولهم وتصورهم حتى انهم لم يجدوا لها تفسيرا الا السحر﴿وقال الكافرون للحق لما جاءهم ان هذا الاسحرمبين﴾[٢٣ سبأ]. وعلى الرغم من هذا وغير هذا يكابر اعداء الإسلام وخصومه ويصرون على ان محمداً يرتبط في رسالته بحياة قومه ايما ارتباط على حد تعبير المستشرق الانكليزي «جب». .

أبداً. . لا عامل من بيئة، ولا سبب من ذات، ولا شيء على الاطلاق الا الوحي من السماء.

وتسأل: ان الأشخاص الذين يقاسون بظروفهم، هم العاديون، أو العباقرة غير محمد صاحب الشخصية المبدعة الخلاقة التي تعطي البيئة ولا تأخذ منها، وتتأثر به، ولا يتأثر بها؟.

ونجيب أولاً: أجل، إن شخصية رسول الله لا تدانيها أية شخصية عبقرية، ولكن العبقرية ـ مهما سمت ـ فانها لا تأتي ولن تأتي

بالمعجزات وخوارق العادات .. فالعبقري الذي لم يدرس فن الطب ـ مثلاً ـ يستحيل ان يؤلف كتاباً فيه صحيحاً وسليماً في جميع اقواله ونظرياته بخاصة اذا كان فيه كشوف جديدة ... ولو افترض ان جاءنا بكتاب مثل هذا لجزمنا في الحال ومن غير تردد بأن وراءه عالما قديراً في فن الطب هو الذي وضع هذا الكتاب، واعطاه للعبقري، أو العبقري سرقه منه.

وهذي هي الحال بالنسبة لمحمد (ص)، فلقد جاء بالقرآن، وفيه أشياء وأشياء لا يمكن ان تكون إلا من خالق الكائنات، كالأخبار بالمغيبات وعجائب الأرض والسموات، وخلق الإنسان وغيره من الحيوانات والحشرات، وفيه النظام الكامل الشامل لشتى ميادين الحياة .. الى غيرها من الحقائق الكونية والإنسانية التي يعجز محمد والعلم في عصره عن معرفة القليل.. اذن، فلا بد ان تكون تنزيلاً من لدن حكيم خبير على قلب الرسول الأمين: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ [٥٢ الشورى].

ثانياً: ان للعبقري المبدع علامات تدل عليه، وللثائر المصلح صفات تميزه عن غيره، والنبي يشارك العبقري والمصلح في كل فضيلة، ما في ذلك ريب، ولكنه يمتاز بصفات لا يشاركه فيها أحد، ان العبقري أو المصلح يستوحي آراءه ومبادئه من الأرض، لا من السماء، يستوحيها من عقله وبيئته، والنبي يتلقى الوحي من السماء، من الله جلت عظمته، والوحي معصوم، والعقل يخطىء ويصيب، والبيئة شهوات واهواء.

وأيضاً العبقري يبدع في شيء دون شيء ولا يبدع في كل شيء

والمصلح يهدف الى ناحية واحدة أو أكثر من حياة فئة أو امة في بقعة من الأرض، ولا يهدف الى اصلاح أهل الأرض جميعاً في كل شيء وفي كل زمان ومكان.

اما محمد فهو رسول الحق والعدل الى الإنسانية جمعاء لينقذها من الجهالة والضلالة، ويحملها على نهج الهداية والنجاة. . وأين العبقري والمصلح من هذا أو شبه هذا؟.

وبعـــد، فان محمداً لا يقال: هو عبقري خلاق، ولا مصلح ثائر، ولا عظيم خالد. . كلا، والف كلا، فما أكثر العباقرة والمصلحين والثائرين !. ان محمداً رحمة مهداة من إله السماء لأهل الأرض أجمعين: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾. ورحمة الله سبحانه فوق العبقرية والعباقرة، والاصلاح والمصلحين، وفوق العظمة والعظماء الخالدين، بل فوق الناس مجتمعين والسموات والأرضين، لأنها تتسع لكل شيء ولا يتسع لها شيء الا قلب محمد ومن سار على طريقته وعمل بمبادئه وسنته.

محمد هو الوحيد

ظهر اخيراً في الولايات المتحدة الاميركية كتاب جديد للدكتور (هارث) الذي يحمل أربع شهادات دكتوراه: الأولى في الرياضيات، والثانية في القانون والثالثة في الفيزياء والرابعة في الفلك، وهو الآن مسؤول علمي عن التطبيقات العلمية لعلوم الفضاء، في الولايات المتحدة ومن أخص صفاته أنه يبذل جهداً جباراً خارقاً في القراءة والمطالعة بخاصة تاريخ العالم وحضارته بكل وجوهها، واسم كتابه الجديد «المئة»! وموضوعه أهم مئة رجل في التاريخ الإنساني كله، وقد أخذ على نفسه أن يرتب المئة في الذكر تبعاً لأهمية كل واحد منهم، فالأول عظمةً هو الأول ذكراً، وهكذا الثاني والثالث...

وقد اختار الأول من المئة محمداً (ص) ويدلّ هذا أن المؤلف على درجة عالية من التجرد وعدم الإنحياز، لأنه مسيحي علماً بأنه جعل السيد المسيح (ع) في الرقم الثالث، وموسى الكليم (ع) في الرقم السادس عشر، وبرر المؤلف المسيحي اختاره محمداً للأولية بقوله:

«إن اختياري محمداً ليكون الأول في قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء. لكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي. فهناك رسل وحكماء بدأوا رسلات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها كالمسيح في المسيحية...

أو شاركهم فيها غيرهم أو سبقهم فيها غيرهم أو سبقهم إليها سواهم كموسى في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي رسالته الدينية كاملة، وتحددت كل أحكامها وآمنت بها الشعوب بأسرها، في حياته. لأنه أقام إلى جانب الدين دولة جديدة، ووحّد القبائل المختلفة في شعب متقدم، والشعوب في أمة متحضرة ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها ووضعها في موضع الإنطلاق إلى العالم... أيضاً في حياته».

ثم يضيف المؤلف المسيحي إلى ذلك: «إن معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم... ولكن محمداً هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من صحراء جرداء مجردة تماماً من كل مقومات الحضارة والتقدم، ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة قهرت بعد ذلك إمبرطوريات فارس وبيزنطية وروما المتقدمة بما لا يقاس. وفي تاريخ الغزو في كل زمان البلاد التي فتحها خلفاؤه عرباً تماماً وتغيرت لغة وديناً وقومية... وثبت ذلك واستقر بما ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم... كذلك لا يوجد نص في تاريخ الرسالات نقل عن رجل واحد وبقي بحروفه كاملاً دون تحريف سوى القرآن الذي نقله محمد، الأمر الذي لا ينطبق على التوراة مثلا أو الإنجيل... ومن أجل ذلك وجدت أن محمد هو صاحب الحق الوحيد في أن أعتبره صاحب أعظم تأثير على الإطلاق في التاريخ الإنساني».

هذه الترجمة قرأتها عن محمد في مجلة العربي عدد ٢٤١ وأنا أكتب في الصلاة عليه وعلى آله في شهر كانون الأول ١٩٧٨.

أبداً، لا ذنب للإسلام عند خصومه إلا ذنب الطاهرة عند العاهرة،

والمخلص عند الخائن، والضاري الشقي عند البر التقي وهل يطلب من الصهاينة والمستعمرين القدامى والجدد أن يهادوا الإسلام والقرآن الذي يثير الشعوب والأجيال ضد كل جائز وكافر بقوله: ﴿فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾[٤٤ الأعراف] ان الاسلام كدين قد اصبح محركاً للشعوب، وليس افيوناً لها كما قال ماركس.

باقة من حديقة الرسول الأعظم

اعظم العظماء

ان شخصية الفرد لا تُفرض عليه من الخارج . . انها نفسه وحقيقته، فإذا قيل: لا شخصية لفلان فهمنا من هذا القول أنه ليس بشيء يُذكر، والعكس بالعكس أي إذا قيل: له شخصية كان المعنى أن له ضرباً من الوجود، وانه أخذ من الطبيعة البشرية شيئاً من صفاتها وخصائصها.

وقد أخذ محمد (ص) من الإنسانية أنبل ما فيها، وأقصى ما يمكن أن يتصوره العقل من عظمة الإنسان وكماله، وقد أوجز سبحانه صفات نجيه بهذه الكلمة الجامعة الرائعة: ﴿وانك لعلي خلق عظيم﴾ [٤ القلم]. ومن هذا الخلق النبيل العظيم الصدق والأمانة، والشجاعة والإيثار، والاعتدال في كل الأمور، فالصادق الأمين لقبه بين قومه وعارفيه، أما ايثاره فكان ينفق على المحاويج كل ما يملك، ولا يبقى منه لنفسه وأهله إلا دون الكفاف من قوت من لا يموت. ومن أقواله: «ما أحب ان يكون لي مثل أحد ذهباً انفقه في سبيل الله أموت واترك منه قيراطين».

ومن البراهان على شجاعة الرسول الأعظم (ص) قول الإمام علي (ع): كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه، وكان فحل من الابل قد جمح وتوحش وأصبح من الكواسر

الضارية حتى فر الشجعان من أمامه، فاقتحم عليه النبي وجذبه بقوة فأخضعه وكبح جماحه، ولم تكن قريش قد تعودت الأقدام على مثل هذا الخطر من أجل الآخرين، ولا عرفت أحداً بمثل هذا الاستبسال.

أما القصد والاعتدال فيومىء إليه قوله: «خير الأمور أوساطها.. ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة، ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه.. المؤمن القوي خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف.. اني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وأشد ما تمتاز به شخصية محمد (ص) الوضوح والبساطة والانسجام. وأعلن أكثر من مرة أنه لا سلطان له على أحد، وأن حسابه وحساب الخلائق على الله، وانه والناس سواء أمامه تعالى، وانه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا يدري ما يفعل به، وانه لم علم الغيب لاستكثر من الخير، وما مسه السوء.. وحين قال المسلمون: كُسفت الشمس لوفاة ولده ابراهيم - رد عليهم بقول حاسم: «ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تكسفان لموت احد من البشر». ونُقل عن الجلندي ملك عمان أنه قال: «والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له، وأنه يَغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، ويفي بالعهد، وينجز الوعد، وأشهد أنه نبي».

وبعد، فان خير ما يحدد شخصية رسول الله (ص) هذا الأثر الكبير الضخم الذي تركه، والتحول الخطير في حياة العالم كله.. قال «د. ل ديورانت» في قصته الحضارة: «أخذ محمد على نفسه أن يرفع المستوى

الروحي والأخلاقي لشعب عاش في دياجير الهمجية . وقد نجح في هذا الغرض نجاحاً لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقد وصل إلى ما يبتغيه. . وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم - ديناً سهلاً واضحاً، وصريحاً قوامه البسالة والعزة، واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مئة معركة، وفي قرن واحد أن ينشىء دولة عظيمة، وأن يبقى الى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في العالم». وقال «مونتجمري وات» في كتاب محمد في المدينة: «كلما فكرنا في تاريخ محمد تملّكنا الذهول أمام عظمة مثل هذا العالم». . ولا بدع ان لا يوازي محمداً في عظمته - أحد من العالمين. . فانه سيد المرسلين وخاتم النبيين.

لماذا عفا محمد عن ألد أعدائه

يبقى هذا السؤال: وماذا فعل النبي (ص) بأعدائه حين تمكن من رقابهم ؟ . . وقد وجه النبي نفسه هذا السؤال الى الذين استسلموا بعد أن قاوموا وقال لهم: يا معشر قريش ما تظنون اني فاعل بكم؟.

قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن كريم.

قال : اذهبوا فانتم الطلقاء.

ما هذا؟ هذا هو رحمة، أم اريحية ؟. كلا، انه سمو المبدأ، وشرف المقصد، وخلق المصلح الذي لا يفعل الفعل بوحي من منافعه، أو دافع من أغراضه. . لقد أراد النبي (ص) بهذا العفو أن يُفهم الأعداء والعالم كله أنه لا يبتغي من وراء النصر على من يروم قتله وتدميره إلا احقاق الحق وازهاق الباطل، فإذا تم ذلك وتحقق فلا تشفي وشماتة، ولا تقتيل وتنكيل. . وليس من شأنه وشيمته أن يستذل احداً حتى ولو كان

ألد أعدائه، لأن هذا الخلق لا يجتمع بحال مع نزاهة الهدف، والاخلاص للمبدأ. . ومن هنا تجاوب مع الدعوة والداعي كل من عرف محمداً على حقيقته، ودرس سيرته بحثاً عن الحق لوجه الحق.

من خلالــه الجلـــي

كان النبي أول من يجوع وآخر من يشبع، وكان في طعامه لا يرد موجوداً ولا يتكلف مفقوداً وما عاب طعاماً قط وإذا لم يجده صبر حتى انه ليربط حجر المجاعة على بطنه، وصلى مرة وهو جالس من شدة الجوع، وتوفي ودرعه مرهونة هذا، وثروة جزيرة العرب طوع بنانه، ولكن ما دام فيها جائع واحد فعلى ولي الأمر أن يساويه في البأساء والضراء والا كان مغتصباً لحقه ومعتدياً عليه.

وكان يحب النظافة وحسن المظهر، وكان أكثر الناس ابتساماً، ولا يتلكم الا فيما رجا ثوابه من الله، وما ذم أحداً، أو عيّره بشيء أو طلب له عثرة وعورة، ولا سأله أحد حاجة الا ورجع بها أو بميسور من القول، وكان يصبر على جفوة السائل، ولا يقبل ثناء الا من مكافىء، ولا يقطع على أحد كلامه إلا اذا تجاوز فينهاه أو يقوم، وإذا دخل على قوم قعد حيث ينتهي به المكان، ويعطي كل جليس حقه، بل ما جالس أحداً إلا وحسب انه اكرم الناس عليه، وإذا بلغه عن أحد ما يكره فلا يسميه، ويكتفي بقوله: ما بال أقوام يفعلون كذا وكيت.

لا تغضبه الدنيا، ولا ما كان فيها، فإذا اعتدي على الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، يُحسن الحسن يقويه، ويقبح القبيح ويوهنه .

يضحــك للنكتـــة

كان نعيمان الأنصاري يمارس الدعابة، وكان النبي يبتسم كلما

رآه، وفي ذات يوم جاء اعرابي الى النبي ، فدخل المسجد وترك ناقته بالقرب منه. . فقال بعض الصحابة لنعيمان: لو نحرتها، فقد مضى علينا أمد لم نذق فيه اللحم، والنبي يدفع ثمنها للاعرابي ، فبادر نعيمان ونحرها، ثم اطلق ساقيه مع الريح، ولما خرج الاعرابي ذهل مما رأى بناقته، وصاح: واعقراه يا محمد.

فخرج يسأل: ما الخبر؟ قالوا: نعيمان فعل ما ترى يا رسول الله، فأمر بالبحث عنه، وكان قد اختبأ في خندق، فأخرجوه، وجيء به. فقال له النبي: ما حملك على هذا؟ قال: الذين وشوا بي هم اغروني يا رسول الله فضحك النبي، ودفع ثمن الناقة.

وكان نعيمان يشتري الأطعمة والفاكهة، ويأتي بها الى النبي ويقول له: كل يا رسول الله، هي هدية مني إليك، وإذا طالب صاحب السلعة نعيمان أخذه الى النبي وقال له: اعطه ثمن متاعه. فيقول له النبي: ألم تهده لنا ؟ فيقول له نعيما: بلى، ولكن أنت الذي أكلته، وليس أنا، فيضحك النبي، ويدفع الثمن.

وقبّل رجل امرأة أجنبية كانت مارة في طريقها، فشكته إلى النبي. ولما سأله اعترف وقال: مرها يا رسول الله أن تقتص مني. فتبسم النبي وقال: استغفر الله، ولا تعد إلى مثلها. فقال: لن اعود يا رسول الله، فتجاوز عنه[1].

وقال له اعرابي: بلغنا ان الدجال يأتي الناس بالثريد، وقد هلكوا جوعاً، أترى أن أكف تعففاً وأموت جوعاً؟ فضحك النبي وقال: يغنيك

---

(١) بحار الأنوار ج ٦ بعنوان مزاحه وضحكه.

الله بما يغني المؤمنين. وجاءه رجل من الصحابة وقال له: هلكت يا رسول الله. فقال له: وما أهلكك ؟ قال: وقعت على أهلي في رمضان. قال: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا. قال: هل تستطيع اطعام ستين مسكنياً؟ قال: لا. فجاء النبي بوعاء من تمر وقال: تصدق به. قال: والله ما على وجه الأرض من أهل بيت أحوج منا. فضحك النبي وقال: اطعمه اهلك.. وهكذا فاز الرجل باللذتين.

أعــــدائه

كان الصدق والاخلاص عدة النبي ودرعه الواقية، وكان يقاوم قوى العتو والبغي بالصبر والاحتمال، والثقة بالله والحق.. وقالت له زوجته خديجة، وهي اعرف الناس به: «والله لا يخزيك الله أبداً، انك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على النوائب».

وإذا رآه اعرابي قال: ما هذا الوجه وجه كذاب.. ولكن أعداءه قالوا: هو ساحر، لأنه أتى بما عجزوا عن الإتيان بمثله، وقالوا: مجنون، لأنه سفه عقولهم، وقالوا: كاهن، لأنه أخبر بالغيب.. وسرعان ما افتضحوا بأكاذيبهم وأضاليلهم واستسلموا للحق صاغرين.

كان النبي يوماً في المسجد، والصحابة من حوله، يحدثهم ويستمعون اليه، فقال لهم من جملة ما قال: سيدخل عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة، وما أتم كلامه حتى دخل رجل من سائر الناس لا أحد يعرف له سابقة تذكر، فتعجب الصحابة وتساءلوا في أنفسهم: ما الذي رفع هذا الشخص على سواه؟ وبأي شيء استحق هذه المنزلة والشهادة من رسول الله؟

فتقصى عبد الله بن عمر أخباره، وظل يراقبه أياماً عسى أن يهتدي

الى طريقه فيسلكه . . ولكن ما وجده أكثر عبادة وعلماً، ولا جهاداً وكرماً أن أي رجل من الصحابة، فذهل واستولت عليه الحيرة، وقال للرجل: ان رسول الله أخبرنا أنك من أهل الجنة. وما رأيت منك ما تمتاز به عمن سواك، فمن هو السر؟

قال الرجل: أبداً لا سر ولا شيء وراء ما رأيت. . أجل اني لا أحقد على أحد، ولا أحسد أحداً على خير اعطاه الله له. قال ابن عمر: هنا يكمن السر.

أجل، هذا هو ثمن الجنة في رسال محمد (ص): ان لا تحقد وتحسد، لا تُقلق وتنافق، لا تشمت بالمصيبة، وتحسد على النعمة. . أما العبادة فالحكمة منها التذكير بالله، والاستعداد التام لطاعته، والكف عن معصيته، وما عُصي الله بشيء مثل الإساءة الى عباد الله وعياله. وفي الحديث: ان النبي قال لأبي ذر: كف اذاك عن الناس فانه صدقة عن نفسك. وقال الإمام أمير المؤمنين (ع): «بئس الزاد الى المعاد العدوان على العباد. . أسوأ الناس حالاً من لا يثق بأحد لسوء ظنه، ولم يثق به أحد لسوء فعله».

محـــو الأميـــة

أول آية نزلت على رسول الله ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ وقضى النبي في أسرى بدر أي يطلق كل أسير يُعلّم عشراً من صبيان المسلمين، ومن الأسس الإسلامية وأصولها وجوب التعليم والتعلم، ومن أهمل وقصر استحق اللوم والعقاب[1].

---

(١) أهملت الدول الإسلامية هذا المبدأ وهو من صميم الإسلام على رغم ما تملك من ثروات وطاقات، ولإهمال هذا الأصل بالخصوص، وغيره على العموم تأخر المسلمون عن ركب الحياة. وتسلط عليهم شر أهل الأرض الصهيونية والاستعمار.

وكان في قبيلة الأشعريين فقهاء، ولكنهم كانوا لا ينفرون الى من حولهم من القبائل ليفقهوهم في الدين. . فخطب النبي (ص) الناس وقال غاضباً: ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ويعلمونهم ؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون وعرف الأشعريون أن النبي يقصدهم بقوله: «لا يفقهون جيرانهم» فقالوا: يا رسول الله لقد ذكرتنا بشر: قال: ليعلمن قوم جيرانهم، أو لأعجلنهم بالعقوبة في الدنيا. . وأياً كان راوي هذا الحديث فنحن لا نشك في صدقة، لأنه قائم على أساس صلب ومتين في مكافحة الجهل والأمية.

القرآن يأسر القلـــب والعقـــل

كان ثمامة بن اثال يعتز برياسته على قومه بني حنيفة، وكان يشتط ويفرط في عدائه للإسلام ونبيه. . يؤلب عليه، ويسعى لقتله بكل سبيل، وكان النبي يدعو ربه بان يمكنه من ثمامة. . وقد استجاب سبحانه دعاء نجيه، وجيء بثمامة أسيراً إلى رسول الله، فأمر بحبسه في المسجد، ووكل به بعض الصحابة، وكان النبي إذا دخل المسجد يؤم المسلمين في الصلاة - يقترب من ثمامة ويقول له: مالك يا ثمامة؟ فيجيب : قد كان ذلك يا محمد. ان تقتل فان ورائي قوماً، وان تعف، تعف عن شاكر، وان طلبت مالاً حملته اليك. وتكرر السؤال من النبي كل يوم، والجواب واحد من ثمامة.

وكان النبي في كل مرة يوصي بثمامة، وينصرف الى الصلاة، ويتلو من أي الذكر الحكيم، والمسلمون خلفه يركعون ويسجدون، يستوي بينهم الصغير والكبير، والغني والفقير، وبعد الصلاة يتحلقون حول النبي يستمعون اليه بقولهم وعقولهم راجين خاشعين، كل ذلك وثمامة يسمع ويرى ويعجب من هذه الوحدة والإلفة، وهذه الروح القدسية التي

تسيطر على الجميع، وكيف يساوي الدين الجديد بين الناس جميعاً لا سيد ومسود، ولا نسب وحسب، ولا جاه وثراء.. وأيضاً يدهش ثمامة من حفاوة الصحابة بالنبي، وحبهم له، يفتدونه بالمهج والأرواح. والآباء والأبناء!.. وفوق ذلك كان ثمامة مأخوذاً بسحر القرآن واعجازه ناسياً قومه وأهله، وذله وأسره، ولم يعد يشعر بشيء الا بعظمة الإسلام ونبي الإسلام وصحابته.

فحاسب نفسه، وندم على ما فات، وتمنى لو كان قد سبق إلى الإسلام، وجاهد أعداءه بالنفس والنفيس، أما الآن فلا يتبع محمداً من موقف الأسر والضعف خوفاً من العار، وأن يقال: ما اسلم بل استسلم حرصاً على حشاشته.. وقرأ النبي ما في نفس ثمامة فقال له: مالك ؟ فأبى أن يلين وهو أسير وقال: ان تقتل فان ورائي قوماً. فقال النبي: بل عفوت عنك. فقال ثمامة: اما الآن فاشهد أن لا إله إلا الله، وانك رسول الله.

كيف تحول ثمامة، وانتقل بما يشبه الطفرة من العداء الى الولاء، ومن الكفر إلى الإيمان؟ انها لظاهرة فريدة للوهلة الأولى، ولكن إذا تأملنا قليلاً اتضح السبب وزال العجب. ان الحق بطبعه يأسر القلب والعقل إلا ان يحول دونه حائل من الهوى والجهل.. والحائل العارض يزول لسبب أو لآخر.. وما تنكر ثمامة للإسلام ومحمد (ص) إلا للجهل وتضليل الدعايات الكاذبة، وبعد أن شاهد ورأى ظهر الحق، وأثّر أثره واسر قلبه تلقائياً ومن غير قصد، وصدق عليه قول الإمام أمير المؤمنين (ع): «ما جالس القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة في هدى، أو نقصان في عمى.. فانه شفاء من أكبر داء، وهو الكفر والنفاق، والعمى والضلال». وقال من ينطق بلغة الوحي: «مثل ما بعثني الله به من الهدى

والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء، فانبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، واصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ».

الرفــق بالحيــــوان

كان صلى الله عليه وآله يسقي الهرة بيده، ويميل لها الإناء لتشرب، ورأى جملاً هزيلاً فقال: اتقوا الله في هذه البهائم اطعموها واركبوها صالحة، ورأى فرخ طائر في يد رجل وأمه تحوم حوله وترفرف فغضب وقال: اردد اليها ولدها.

ومرت به شاة، وهو يأكل الرطب فاشار اليها بالنوى، فدنت واطعمها بيده، ورأى كلبة مع صغارها فأمر برعايتها. . وعلق الكاتب الانكليزي مونتجمري على هذه الحادثة في كتاب محمد ـ يقول: «هذا شيء رائع في ذلك العصر».

ومن أحاديثه: «الرفق يمن، والخرق شؤوم. . ان الله رفيق يحب الرفيق. . لكم في كل كبد أجر. . المثلة حرام حتى بالكلب العقور. . ان للدابة على صاحبها ست خصال: يعلفها إذا نزل عنها، ويعرض عليها الماء إذا مر به، ولا يضرب وجهها، ولا يقف على ظهرها، ولا يحملها فوق طاقتها، ولا يكلفها من المشي ما لا تستطيع. . رب دابة مركوبة خير من راكبها». وهكذا يحرم الإسلام أذى كل ذي نفس إنساناً كان أم حيواناً.

وكان النبي (ص) يوصي زوجته خديجة أن تعامل جواريها كما لو كنّ حرائر، وان تسمي من تملك الفتيان والفتيات بدلاً من كلمة الجواري

والعبيد.

وكان يشعر بحنان خاص نحو الأطفال، فإذا مرّ بصبية ابتسم لهم واقرأهم السلام، وتحدث اليهم وقال: خيركم خيركم لأهله، ولما أصيب زيد بن حارثة ذهب الى بيته فبكت ابنته، فبكى. وفي ذات يوم مرّ بصبي فرآه حزيناً، ولما سأله عن السبب قال: ان بلبله قد مات. فعزاه وخفف عنه.. ومن أحاديثه: «من كان له صبي فليستصب له». أي يعامله كمثيل ونظير.

الفـــراســـة

كان إذا سأل النبي سائل تفرس في وجهه، ثم يجيبه بما يتناسب مع حاله، ومن أمثلة ذلك أن رجلاً قال له: أوصني يا رسول الله. فقال له: لا تغضب، فكرر السؤال، ولكن الجواب لم يختلف.. ثم تبين أن السائل يثور لأتفه الأسباب. وقال له آخر: أي الإسلام خير ؟ ؟فقال له: المسلم من سلم الناس من يده ولسانه. وجاء آخر وقال: أي ا لاسلام خير؟ فقال له: تطعم الطعام، وتقري السلام على من تعرف.. وأخيراً ظهر أن الأول كان يعيب الناس، والثاني كان شحيحاً.

وبعد، أليست هذه الصفات آيات ودلائل على نبوة صاحبها ورسالتـــه؟.

الفصل الثاني

في العقيدة والسلوك

الخبز

«اللهم بارك لنا في الخبز، ولا تفرق بيننا وبينه فلولا الخبز ما صمنا ولا صلينا ولا أدينا فرائض ربنا»[1].

وهذا الحديث شرح وتوضيح لحديث «كاد الفقر يكون كفراً» وثالث: «إن النفس قد تلتاث ـ أي تضطرب وتتمرد ـ على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه» وأحاديث هذا الباب كثيرة، ويجمعها بالكامل قول الناظم:

الفضل للخبز الذي لولاه ما كان يوماً يعبد الإلّه

وهذا البيت من منظومة تجاوزت الـ ١٥٠ بيتاً في منافع الأطعمة

(١) سفينة البحار للشيخ العمي مادة (خ ب ز).

والأشربة ومضار بعضها كما نصت عليها كلمات الرسول وآله الأطهار (ص)، أما الناظم فهو المرحوم الشيخ محمد علي الأعسم الكبير علماً وأدباً سنة ١٢٣٣ هـ).

ونعود إلى ما به بدأنا وهو قول الرسول الأعظم (ص): «فلولا الخبز ما صمنا ولا صلينا ولا أدينا فرائض ربنا» لنشير أن كل من يدعي الإسلام ويتقلب في سعة من فضل الله ولطفه، ثم يتورط في معاصيه ويعتدي على عباده وعياله - فما هو من الإسلام في شيء، قال سبحانه: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ [٥ الحجرات] وننطلق من هذه الآية الكريمة إلى أن كل شعار إنساني لا يتمثل في عمل محسوس فهو خداع ونفاق.

هل بالخبز وحده يحيا الإنسان ؟

من الشعائر السحرية عند أعداء المادية: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان» وهذا حق وصدق عند من يملك ما يسد جوعته ويملأ معدته، أما الذي تثور معدته وتدور في فراغ فالخبز هو النهاية والغاية الوحيدة، ولا شيء سواه، والدليل الوجدان والعيان وقول رسول الرحمة والرحمن: «لولا الخبز ما صمنا ولا صلينا الخ.

وأخيراً فمن يظن أن الإنسان يحيا بالخبز وحده أو بالتقوى وحدها فهو مخطىء، لأن الدين العلمي والموضوعي يريدك أن تعيش بجسمك وعقلك وقلبك.

حسن الظن بالله
وسوء الظن بالنفس

«والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله الا كان الله عند ظن عبده المؤمن . . . والمؤمن لا يمسي ولا يصبح إلا ونفسه ظنون عنده».

للمؤمن علامات كثيرة نص عليها بوضوح كتاب الله وسنة نبيه، وأهمها على الإطلاق ـ بعد الإيمان بالأركان ـ أمران: حسن الظن بالله، وسوء الظن بالنفس بمعنى أنها مقصرة في طاعة الله مهما اجتهدت وبالغت، وفي أصول الكافي: أن الإمام الكاظم (ع) كان يتولى في دعائه: «اللهم لا تخرجني من التقصير» ولما سئل عن معنى دعائه هذا قال: كل عملٍ تعمله تريد به وجه الله عز وجل فكن فيه مقصراً عند نفسك، فإن الناس كلهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصرون[1].

أما حسن الظن بالله فينطوي على العديد من المعاني، منها: الاعتقاد بأن الله سبحانه منجز وعده بحسن الثواب لمن أحسن، ووعيده

(١) وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . ١٨ المائدة. وقال «من اذا وعُظ أنف واذا وَعظ عنّف» كتاب هل أنت سعيد مثلي.

بسوء العذاب لمن أساء مع فارق واحد. وهو أنه تعالى يضاعف ثواب الحسنة أضعافاً كثيرة ، ولا يجزي السيئة إلا بمثلها، وقد يعفو تفضلاً منه وكرماً، ولكن على أساس علمه وحكمته، لا جُزافاً وعبثاً تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ومنها أن يعلم المؤمن ويجزم بأن قدرته تعالى مطلقة لا يحدها أي شيء سوى مشيئته وإرادته «ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن»وبعبارة ثانية إن إرادة المخلوق لا توجد الشيء المراد حتى يُضاف إليها كافة الشروط، وتزول جميع العقبات والمعوقات، أما إرادة الخالق فهي بمجردها كافية وافية لإيجاد المراد ﴿إنما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ [٨٢ يس].

ومن آمن بالله حقاً وصدقاً لا ييأس من رحمته ، ويثق بقدرته، ويرجو النجاة من شدته حتى ولو ألقي به من المريخ أو دُفن حيًّاً تحت أطباق الثرى، لأنه يؤمن بقدرة لا تعجز عن شيء، وإن كان خارقاً لمجرى الأحادات وأسبابها الطبيعية، لأنه سبحانه هو الذي ابتدع بقدرته الطبيعة ابتداعاً، واخترعها بمشيئته اختراعاً، فيديرها كيف شاء وأراد.

أما الملحد فانه ييأس عند الشدائد ويستسلم لواقعها، لأنه لا يؤمن إلا بالمادة العمياء وآثارها والطبيعة الصماء وحتميتها.

الرفق والخُرق

«الرفق يمن، والخُرق شؤم... ما وضع الرفق على شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه... المدل لا يصعد من عمله شيء»

الرفق: اللين واللطف، والخُرق: الحمق والغلظة، والمدل: المستعلي والمستظهر.

ان الشرط الأول والأساس في كل داعٍ ومرشد، اللين والتواضع، قال، عز من قائل لنجيه الكريم: ﴿فبما رحمةٍ من الله كنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك﴾ [١٥٩ آل عمرا] ربط سبحانه إسلام من أسلم بشخصيته محمد (ص) الأخّادة الجذابة، لا يستخفها الخيلاء، ولا تغلبها الأهواء. وكيف ؟ وقد أدبها من صورها فأحسن تأديبها، بالعديد من الآيات. منها ـ على سبيل المثال ـ : ﴿ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ [٣٤ فصلت]. ﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾ [٤٧ للأنعام]. وقد كذبوه وآذوه فقال: اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون. وفي رواية ثانية «اغفر لقومي» فلم يمنعه سوء صنيعهم عن إرادة الخير لهم، والسر أنه هو نفسه التجسيد الحقيقي للاسلام والقرآن.

ومن هنا جاء نجاح محمد (ص) في دعوته، ودانت له الرقاب طوعاً

لاكرهاً ، وانتشر الإسلام شرقاً وغرباً، وقلت في بعض ما ألفت : إن كلاً من الإسلام وشخصيته محمد (ص) جزء متمم للآخر، فلو جاء بالاسلام غير محمد، أو جاء محمد بغير الأسلام ما كان للرسالة ولا للرسول هذا الوزن والخلود.

وعلى كل من يدعو دعوة الحق والخير أن يبدأ بنفسه، ويسبق إلى العمل بها قبل أن يُعلّم الآخرين. جاء يهودي الى رسول الله (ص) وقال له: ادفع دينك يا محمد، وجذب رداءه حتى سقط عنه، فغضب عمر وهمّ بالرجل، فقال له الرسول: الأجدر أن تقول لي: ادفع الدين، وتأمره بحسن المطالبة، وتعينه على تحصيل حقه.

فهل يعتبر بسيرة نبيه من يعظ الناس بأسلوب التقريع والقول الشنيع؟ وإذا قيل له: رويداً أخذته العزة بالإثم . قال سبحانه: ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ [٢١ الأحزاب]. وفي كتاب أشعة من بلاغة الامام الصادق (ع) ص ١٦٥ طبعة ١٩٧٣ ما حرفيته: «من إذا اوعُظ أنف، وإذا وَعظ عنّف فذاك في الدرك الثاني من النار»

وأخيراً ، جاء في الجزء الثاني من أصول الكافي عن الامام الصادق (ع): أن عالماً أتى عابداً فقال له: كيف صلاتك؟ فقال: أمثلي يُسأل عن صلاته؟ فقال العالم: إن المدل لا يصعد من عمله شيء. وأيضاً قال الامام (ع) : دخل رجلان المسجد: أحدهما عابد والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صدّيق والعابد فاسق. لأن العابد دخل مدلاً بعبادته ـ وقال: من مثلي؟ ـ والفاسق دخل نادماً على معصيته.

وفي الجزء الثاني من سفينة البحار عن النبي (ص): أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان. فقال سبحانه: ﴿قد غفرت لفلان، وأُحبطت عمل الذي أقسم وإني لا أغفر لعبدي﴾.

وبعد، فإن أجهل الناس بجهله من يظن أن الآثم عنده آثم عند الله، قال الإمام الصادق (ع) . كما في أصول الكافي : ما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان ، وهو عند الله كافر.

اليمين واليسار

«إن الله عز وجل قسم الخلق قسمين: أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وأنا خير أصحاب اليمين»

كُثرت التناقضات في العصر الراهن بين الفئات، وكثرت معها المذاهب والتيارات الزائفة المضللة، وتولَّد من هذه وتلك اتهامات وألقاب مثل تقدمي ورجعي ويساري ويميني، ويعنون بالأول العصري المتنور والناضج المتطور، وبالثاني الجامد المحافظ والمتعصب الرافض لكل جديد مفيد.

ونحن أيضاً نقسم الانسان إلى يميني ويساري، ولكن بوحي من كتاب الله وهدي من سنة الرسول الأعظم حيث اعتبرا اليمين من الأتقياء واليساري من الأشقياء، وعليه يكون الخلاف بيننا وبين الآخرين في التطبيق، قال سبحانه: ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم﴾ [٤٢ الواقعة] ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ [٩١ الواقعة]. وأشار سبحانه إلى الوسط بين اليمين واليسار في الآية ١٠٢ من التوبة: ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئا عسى أن يتوب عليهم﴾ وحدّث النبي (ص) بنعمة ربه عليه وقال: « أنا خير أصحاب اليمين». وفي الصحيفة

السجادية: «وانظمني في أصحاب اليمين. ووجهني في مسالك الآمنين» وفيها قرأت أن ماركس قال: «لا أعرف شيئاً عن الاسلام ذا بال» ولو عرف الإسلام على حقيقته، وأنه يحرم الكنز والاستعلاء والاستغلال، ويرى الفقر موتاً وكفراً ـ لأسلم وآمن بالقرآن، إن رام الحق لوجه الاحق وعلى الأقل، استثنى الاسلام من قوله: الدين أفيون الشعوب. ويرى العديد من أهل الفكر في الغرب أن ماركس استوحى قوله هذا من الكنيسة ومحاكم التفتيش.

التدبير والتبذير

«لا عقل كالتدبير ، التدبير نصف المعيشة . . . من اقتصد في معيشته رزقه الله، ومن بذر حرمه الله»

وفي كتاب الخصال للشيخ الصدوق أن الامام الصادق (ع) قال: «ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر»

وأطلق سبحانه كلمة خير على المال في العديد من الآيات، من ذلك : ﴿اني أراكم بخير﴾ [٨٤ هود]. ﴿ ربي اني لما أنزلت الي من خير فقير﴾ [٢٤ القصص] ﴿ما انفقتم من خير﴾ [٢٢٥ البقرة] ﴿وانه لحب الخير لشديد﴾ [٨ العادمات] وقد امتن سبحانه على نبيه بالغنى وقال: ﴿ووجدك عائلاً وأغنى﴾ [٨ الضحى] بل امتن كل الخلق في الآية ٣٥ من ابراهيم ﴿ وآتاكم كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾.

ومعنى هذا أن الدين والدينا الحلال شيء واحد، وأن الفردوس الأرضي والسماوي صورة لفضل الله ونعمه على العباد. وفي الحديث : «نعم المال الصالح للعبد الصالح . . . طلب الحلال جهاد وفريضة . . نعم العون على تقوى الله المال» أي يساعد على صفاء الدين والخلق الكريم.

والمال الذي يعود على صاحبه بالوبال والنكال لا يخلو من أحد أمرين: الأول أن يكتسبه من غير حل . الثاني أن ينفقه من غير وجهه، سواء أنفقه في الخمور والفجور أم في التبذير والتضاهي والتباهي، قال سبحانه: ﴿ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين﴾[١٧ الاسراء].

وقال الإمام الصادق (ع): من أنفق شيئاً من غير طاعة الله فهو مبذر، ومن أنفق في سبيل الخير فهو مقتصد.

وأخيراً هذا الحديث الشريف: «من المروءة استصلاح المال» وأفضل السبل لتثمير المال في هذا العصر أن يُستغل في الصناعة حيث لا استقلال اقتصادي أو سياسي إلا بها، ولا نمو وتقدم خطوة واحدة إلى الأمام إلا بالصناعة الثقيلة التي تغني عن استيراد أسلحة الصيانة والدفاع وعن وسائل الانتاج[١]

ونشير، لمناسبة الحديث عن التدبير، إلى مسألة تحديد النسل بدعوى أن سبب الجوع في العالم هو تضخم السكان! . وهذا تضليل لأن سبب الفقر والجوع احتكار الثروات ونهب المقدرات إضافة إلى أن في مقدور العالم أن يزرع الصحاري والبحار والكواكب والفضاء. نقول هذا ونحن نجيز تحديد النسل مع اتفاق الزوجين! الأصل الإباحة وعدم النص على التحريم على أن يكون ذلك بعزل المني أو بأية وسيلة من الوسائل الحديثة، ولا يسوغ بحال الإجهاض وإسقاط الحمل حتى قبل أن تُنفخ فيه الروح، وأيضاً يحرم القضاء على غريزة الجنس بشتى صوره

---

(١) تكدست أثمان النفط الاسلامي والعربي في مصاف الصهاينة وحلفائهم وحولتها اسرائيل إلى أسلحة جهنمية تذل بها العرب والمسلمين في كل مكان لا في جنوب لبنان فلسطين والجولان فقط! ومع هذا ترفع الرجعية الحاكمة شعار الدين والقومية للحرص على كيانها الخائن الزائف.

وأشكاله، لأن الإسلام يريد أن يعيش الإنسان كاملاً في حواسه وأعضائه وغرائزه.

أما حديث عزل المني وأدخفي فمحمول على الكراهة إن صح السند، لأن عزل النطقة شيء، وقتل الطفل شيء آخر، كما أن المراد بحديث تناكحوا تناسلوا، فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة - الاستحباب دون الوجوب. هذا الى أن النبي (ص) لا يباهي بالهبيين والخنافس ولا بشبه العاريات من الملابس.

أولو الفضل والسعة

«من كان معه فضل من ظهر ـ مطية ومركب ـ فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له الى ما أشبه ذلك»

وهنا أكثر من سؤال يطرح نفسه. الأول: ما من شك أن الإشفاق على المحاويج والإنفاق عليهم عطفاً وتبرعاً ـ نزعة إنسانية عميقة، ولكن الأفضل والأكمل مكافحة الفقر والقضاء عليه من الأساس بإلغاء الملكية الفردية وتوزيع الانتاج بالسوية؟ وبتعبير ثانٍ أن تكون المْشاركة في المال بقوانين تحميها الدولة لا بالمواعظ واستدرار العطف والشفقة.

الجواب:

أن الإسلام يحرص كل الحرص على اصلاح الحياة ونموها وتقدمها الى أقصى حد، ولذا حث الانسان على العمل لدنياه بكل ما لديه من جهد، كأنه يعيش أبداً. وما من شك أن إصلاح الحياة لا يكون بالكبت والضغط على الطاقات والحريات ولا بإلغاء الملكية، كما هو الشأن عند الماركسيين، لأن ذلك إلغاء لمواهب الانسان بالذات؛ فلا يجتهد ويجدد، ولا يُبدع ويخترع تماماً كالحيوان! وأيضاً يكون إصلاح الحياة بإطلاق العنان للفردية ولأنانية بلا حساب ومسؤولية كما هي

الحال عند المستغلين والمتحكرين.

وفراراً من هذه المشكلة وتلك أفسح الإسلام للإنسان الفرد المجال في كسب المال على أساس الحق والعدل. وفي نفس الوقت اعتبر المال ملكاً لله، لأنه من صنعه وفضله، وخوّل الاستمتاع به في حدود أمره وطاعته، ومنها ما أرشد اليه الرسول الأعظم (ص) بقوله: «من كان معه فضل». قال الإمام الصادق (ع): «إذا لم ير العبد لنفسه ملكاً فيما خوّله الله هان عليه الإنفاق فيما أمر الله».

السؤال الثاني: قال رسول الله (ص) لمن أراد أن يتصدق بكل ما يملك: «إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس» فما هو وجه التوفيق بين قوله هذا وقوله: من كان معه فضل... الخ.

الجواب

لا تضاد بين الحدثين يستدعي التوفيق والتأويل، لأن الصدقة بكل المال شيء، وبالفضل شيء آخر، فالمراد بالفضل هنا ما زاد عن الحاجة تماماً كالعفو في الآية ٢١٩ من البقرة: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ وفي حديث آخر: كل معروف صدقة، وأفضل الصدقة عن ظهر غنى.

وعليه يكون حديث من كان معه فضل الخ تماماً كحديث «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس... طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة.. كان الأشعريون إذا أُرملوا جمعوا ما عندهم ـ من طعام ـ في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم».

وأخيراً هذه الكلمة: قرأت في مجلة المستقبل اللبنانية العدد ١٢٥ مقالاً بعنوان العالم المتحضر يحاول العودة إلى شريعة الغاب، جاء فيه:

فضلات الطعام التي تلقيها أمريكا.. تطعم أفريقيا كلها» وليس هذا بغريب على شعب يكفر بالإنسانية وقيمها، ويقيس كل ما في الاوجود بالأرباح والنقود.

لا دين بلا دنيا

«ان الله يُعطي الدنيا على نية الآخرة وأبي أن يعطي الآخرة على نية الدنيا»

ربط هذا الحديث بين الدنيا والآخرة ، بين الدين والحياة الأفضل حيث جعل العمل لوجه الله وابتغاء ثوابه في يوم الحساب والجزاء هو الذريعة والوسيلة للتوفيق والنجاح في هذه الحياة - مثلاً - من يفعل الخير لله وصالح الناس يجعله الله وجهاً في الدنيا والآخرة ، ومن يصلي صلاة خالصة مخلصة لوجهه تعالى يُطهر نفسه من الرجس والدرن. ولذا شبهها الروسل الأعظم (ص) بالحمام «على باب الرجل يغتسل - من - في اليوم والليلة خمس مرات ».

وفي نهج البلاغة: «الناس في الدنيا عاملان: عامل عمل لدنياه قد شغلته عن آخرته فيغني عمره في منفعة غيره، وعامل عمل في الدنيا لما بعدها فجاءه الدين له من الدنيا من غير عمل ، فأحرز الخطين معاً، وملك الزادين جميعاً. . . ودين الحق يدعو إلى الاستقامة، ويعصم من الانحراف، وما طاب غرسه طاب ثمره. قال سبحانه ﴿ ان الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [١٢٠ التوبة] ﴿من يعمل سوءاً يُجْزَ به﴾ [١٢٣ النساء] وعن الرسول الأعظم (ص) : «لأ يأمن البيات من يعمل

السيئات . . . العمل السيء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم» وفي حديث قدسي : إذا عصاني من عرفني سلطت عليه من لا يعرفني .

ومن استقرأ وتتبع التاريخ والأحداث يرى أن السبب الموجب لانهيار الحضارات وسقوط الدول هو الجور والفساد. وبالأمس القريب هرب شاه إيران وهو يعول ويولول، واليوم لحق به سوموزا رئيس نيكاراغوا بلالب وأعصاب، وغداً البقية الباقية من الإخوان والأعوان .

وفي جريدة النهار البيروتية تاريخ ٨ ـ ٧ ـ ١٩٧٩ : ان سوموزا قال لمراسل واشنطن بوست «إنه مثل حمار متعب يقاتل ضد نمر» وهذا هو المصير الحتم لكل مجرم زائف: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ [١٧ الرعد].

النسبة الى الرسول الأعظم

«كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي»[1].

النسب : الرحم، والسبب: المصاهرة،
وهنا سؤال يطرح نفسه، وهو هل من سبيل إلى الجمع والتوفيق بين هذا الحديث وقوله تعالى ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ﴾ [١٠١ المؤمنون].

الجواب:

١ ـ يجوز تخصص الكتاب بالسنة النبوية حتى ولو كان الراوي لها واحداً جامعاً للشروط تماماً كما يجوز تخصيص الكتاب بالكتاب، لأن النبي ينطق بالوحي بشهادة الآية الثالثة من النجم وغيرها، وعليه يكون المعنى فلا أنساب بينهم يومئذ إلا الرسول الأعظم (ص) فإنه لا ينقطع بحال .

٢ ـ من الجائز أن يكون المراد بنفي الأنساب يوم القيامة قطعها بين

---

(١) انظر الجزء الثاني من كتاب فضائل الخمسة من الصحاح الستة فقد نقل هذا الحديث عن مستدرك الصحيحين وحلية الاولياء ومجمع الهيمتي وفيض القدير وكنزل العمال وذخائر العقبي.

المؤمن والكافر بقرينة السياق، لأن الآيات السابقة تحدثت عن أهل الشرك والجحود.

وقال قائل من الناس : إذا تعدد الأجداد وكثرت بطول الأمد ينقطع النسب عرفاً، وتصبح النسبة إلى الجد البعيد تماماً كنسبة البشر إلى آدم ونوح، وعليه فلا سيد إطلاقاً منذ انتهاء القرن العاشر بعد الهجرة المحمدية!.

الجواب :

إن الله سبحانه شرّف كل المسلمين بمحمد (ص) دون الأمم، فبالأولى أن ينال هذه المكانة من انتسب إليه من قريب أو بعيد إضافة الى أنّ هذا الزعم لوصح لوجب أن نسقط سهم السادة من الخمس حيث لا نقش بلا عرش. وفي رأينا: لولا سهم السادة لنسي الشيعة ولاية أهل البيت (ع) تماماً كما نسي الناس العديد من الأنبياء الذين لا يُذكرون في أي شيء من الأشياء- ولعلنا نعود إلى هذا لمناسبة ثانية. وإن قال قائل: جاء في نهج البلاغة « ان ولي محمد من أطاع الله وإن بعدت لحُمته - أي قرابته - وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربت قرابته». ومن المعلوم بالحسن والعيان أن العديد من السادة يتهاونون بأحكام الدين.

قلنا في جوابه أولاً إن الامام (ع) يرد بقوله هذا على الذين احتجوا من قريش على الأنصار يوم السقيفة، وزعموا أن لهم الولاية على المسلمين بعد النبي لقرابتهم منه عن طريق الأجداد والعمومة!. ومعلوم أن هذه القرابة شيء، والنسب بالولادة شيء آخر. ثانيا ان الولدالعاق يلحف بالنسب بلا كلام. ثالثاً إن اسم إبليس وفرعون وماشاكلهما لا يمسه إلا المطهرون ما دام في القرآن الكريم لا لشيء إلا لنسبة هذا الاسم الى القرآن وعظمته، وعلى كل مسلم أن يحترم السادة لا لشيء إلا لأنهم ينتسبون إلى القرآن الناطق.

بني هـاشم رهط النبي فانني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب

بعض أجداد الرسول الأعظم

وبرجاء العفو والنجاة من أليم العذاب نشير بإيجاز سريع إلى بعض أجداد الرسول الاعظم (ص) أبوه عبد الله المعروف بالطهر والعفاف، وجده الأول عبد المطلب الذي حفر بئر زمزم والملقب بشيبة الحمد والفياض ، وجده الثاني هاشم الذي هشم الثريد للجائعين، والثالث عبد مناف قمر البطحاء. وما أكل وحده أبداً. والرابع قصي حرر البيت الحرام من خزاعة، والخامس كلاب، ويلقب بالحكيم المذهّب السادس مرة لأنه كان علقاً في أفواه الطغاة، السابع كعب بشّر قومه بمحمد (ص) الثامن لؤي صاحب الحِكم الذائعة في عصره، التاسع غالب لكثرة فوزه على أعدائه، العاشر فهو قريش المعروف بالشجاعة واليه تنسب قبائل قريش بكاملها

كف الأذى

من أصبح لا يهم بظلم أحد غفر الله له ما أذنب في ذلك اليوم... لاورع ككف الأذى» (١)

وفي حديث آخر: «على المسلم أن يتصدق عن نفسه في كل يوم. قيل: ومن يستطيع ذلك يا رسول الله؟ قال كلكم يستطيع أن يكف أذاه عن الناس» وقال الإمام الصادق (ع): أفضل الجهاد من أصبح لا يهم بظلم أحد. وتسأل: كيف يكون مجرد ترك الظلم والأذى صدقة يُثاب عليها بأجر المجاهد المقاتل في سبيل الله تعالى علماً بأنه ما من دين أو شرع أو مذهب يعطي على السلب وترك الجريمة؟.

الجواب:

إن الله سبحانه هدد وتوعد على الظلم والبغي في العديد من الآيات كقوله، عز من قائل: ﴿فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾ [٤٤ الاعراف] ﴿والكافرون هم الظالمون﴾[٢٥٤ البقرة] ﴿هل يهلك الا القوم الظالمون﴾ [٤٧ الانعام] ـ لاحظ الحصر ـ وفي

(١) تكلمت عن هذا الموضوع في كتاب فلسفة الأخلاق وفي ظلال الصحيحة السجادية، وأعود أليه هنا بأسلوب آخر لكثرة فوائده وعوائده.

الحديث القدسي: «وعزتي وجلالي لا أجيب دعوة مظلوم غيره... ليأذن بحرب مني من أذى عبداً من عبادي».

والسر أن الظلم والبغي شر وفساد في الأرض، وأنه المصدر لكل المشكلات الاجتماعية والأزمات العالمية، ومعنى هذا ان لترك الظلم والأذى آثاراً إيجابية هي خير كلها وصلاح، وعلى هذا يكون الأجر والثواب على آثار الترك الزاكية النامية، لا على العدم من حيث هو.

وهل من عاقل يشك أن الانسان ، كل انسان، لو كف شره وضره عن أخيه في الإنسانية وجشعه وطمعه وحقده وحسده ـ لعاش الناس في أمن وأمان ورغد وحنان؟ وهل جاءت البرجماتية والرأسمالية والشيوعية والماركسية والصهيونية والنازية والفساد والاستبداد والحروب بشتى أنواعها إلا من العدوان والأذى؟.

وبعد، فإن كل أو جل ما يعانيه الناس من مصاعب ومتاعب فهو من صنع أيديهم كما قال سبحانه: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[١١٨ النحل». ولا حل إطلاقاً إلا أن يكف الإنسان أذاه عن أخيه الانسان، فلا يضع المخططات لاستغلاله واغتياله، ولا يقيم المصانع الحربية للتوسع في السلب والنهب، ولا يشرع قوانين العالم الحر في كل شيء حتى الإثراء على حساب الآخرين، ولا قوانين الكبت والاضطهاد والمصادرة .

قول الحق

«قل الحق وإن كان مرًّاً . . . ما أنفق المؤمن نفقة هي أحب إلى الله من قول الحق في الرضا والغضب . . . ولا تمنعن أحدكم مهابة الناس أن يقول الحق إذا علمه»

حاول سقراط أن يحمل الناس في عهده على أحكام العقل ومبادئه، باللين والحوار الحكيم ، فقتلوه بالسم، وليس هذا بغريب على بيئة الجهل والتمرد على العقل، ودعا محمد (ص) إلى الايمان بالواحد الأحد ، فقالوا مجنون أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب ! ولا بدع فان القوم تلقوا الشرك أبا عن جد، وجرى منهم مجرى الروح والدم، وما أكثر التناقضات والأحكام الذاتية في المجتمع البدائي الجاهل وأكثر وحشية وضراوة الشعب المتحضر بالآتة وأسلحته لا بإنسانيته وعادته باستغلاله لا بخلاله.

ولا شيء أثقل من قول الحق وأمر في مجتمع لا يدين بالحق والعدل، ولكن هذا لا يعفي المؤمن من الجهر بالحق والنهي عن الباطل بقول الرسول الأعظم (ص) : لا تمنعن أحدكم مهابة الناس الخ وأوضح منه حديث : «أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر» وما منا إلا من

سمع ببسالة الصحابي الغفاري وما عاناه من عثمان بن عفان، وما زاده ذلك إلا إصراراً على الجهر بالحق، وهكذا كل باسل لا يحجم عن التضحية في سبيل قضيته يعتقد بعدالتها وبعد، فإن الحرب بين الحق والباطل لا تزال مستمرة إلى قيام الساعة، ولا بد لقوى الشر والباطل أن تتحالف وتحارب بشتى الصور والأشكال من الأسلحة الجهنمية العدوانية إلى الدعايات الكاذبة، ومنها إلى الغدر والمؤامرات. وعلى من آمن وأخلص أن يجاهد ويقاوم بصبر وثبات، ولا يذل ويستسلم، والله معه بما شاهدنا ورأينا من الأحداث التي تسحق الطغاة بغتة من حيث لا يحتسبون، لأنهم تحدوا الحق والصالح العام، ومن صارع الحق صرعه لا محالة.

الغضب

«وجبت محبة الله لمن أغضب فحلم . . . من كظم غيظه وهو يقدر على انفاذه ملأه الله أمنا وإيماناً»

الغضب من أمهات الرذائل ، ومن ثماره وآثاره:

١ ـ غلبة الهوى على الدين والعقل والانقياد لعاطفة عمياء، تدفع بالغاضب الى مهاوي الضلالة والجهالة، وفي الحديث: «الغضب من جمرة الشيطان» وينبغي للمؤمن العاقل أن ينظر الى الغاضب بعين الشفقة والرحمة ، فيهديء من فورته وهياجه، ومن قابله بمثل حالته، وأجابه على مقالته فهو شريكه فيما يأتيه ويجنيه، بل أقبح وأسوأ تماماً كمن يزيد النار اشتعلاً والخرق اتساعاً.

ينشأ الغضب من الانفعالات الطارئة غير الثابتة، فمن أمسك غضبه وملك نفسه بعض الوقت يزول كل شيء، ويأمن الغاضب النوائب والعواقب. وفي الحديث أن رجلاً قال للنبي (ص): علمني مجامع الكلم. فقال له: لا تغضب. فأدرك الرجل ما تنطوي عليه هذه الكلمة وقال : لا أسأل بعدها عن شيء.

وقال أرسطو: من السهل أن يغضب الانسان، ولكن من أصعب الصعب أن يغضب على الشخص المناسب، والى الحد المناسب،

وفي الوقت المناسب».

وفي شتى الأحوالْ فليس المراد عن الغيظ والغضب من حيث هو، لأنه تكليف بما لا يطاق، وإنما المطلوب الصبر على تجرع الغيظ وإن يك علقماً حيث يمكن التحكم بالنار والسيطرة عليها ما دامت في مكانها، فإذا تجاوزته وانتشرت هنا وهناك تعذر إخمادها وعمَّ فسادها. ولا بد من الإشارة إلى أن الغضب القبيح والمذموم هو غضب الإنسان لنفسه وأشيائه، أما الغضب على المجرمين والخونة المزيفين فهو غضب لله وبأمر الله سبحانه حيث قال: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾[٧٣ التوبة] ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾[٢ النور] وفي نهج البلاغة«من شنىء الفاسقين وغضب لله غضب الله له، وأرضاه يوم القيامة.

وأخيراً هذا الحديث: «إنما المؤمن الذي إذا غضب لم يخرجه غضبه من حق وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا قدر لم يأخذ أكثر من مما له» ومحال أن اوافر هذه الخلال الفضلي في أي إنسان إلا أن تكون له القدرة والسيطرة على نفسه، ولا يملك هذه القدرة ـ في الغالب ـ إلا بجهاد النفس وتدريبها، ومن أهملها مع الفوضى والنزوات قادته إلى مأزق لا يدري كيف يخرج منها.

الرحمة

«اغتنموا الدعاء عند الرقة فإنها رحمة، اطلبوا الخير دهركم وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله تعالى نفحات من رحمته، يصيب بها من يشاء من عباده»

أمر تعالى عباده أن يسألوه ويدعوه، بل ويلحوا عليه في السؤال والدعاء كما نطق الحديث، وأفضل الساعات للدعاء والمناجاة الساعة التي يحس فيها الانسان من نفسه بعاطفة ، نبيلة نحو أخيه الإنسان، كل إنسان، لأن الوئام والانسجام بين العمل وجزائه قانون إلّهي وطبيعي ، قال سبحانه ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾ [٤٠ البقرة[وفي الحديث الشريف: «من لا يِرحم لا يُرحم. . . من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فُعل به، إنما يحصد ابن آدم ما يزرع»

وبالمناسبة سألني سائل: هل يفعل الله الشر؟ قلت له: أما قرأت قوله تعالى ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [٨ الزلزلة]؟ فهو سبحانه يفعل الشر بنص القرآن ولكن بأهل الشر، أي أنه تعالى لا يفعل الشر لذات الشر بل جزاءاً وفاقاً تماماً كاستعمال المواد السامة لإبادة الحشرات التي تنفث السموم وتنقل الأمراض، ومعنى هذا أن فعل الشر هنا ينطوي

على خير كثير.

ونعود إلى قول نبي الرحمة (ص) : «اغتنموا الدعاء عند الرقة» نعود إليه لنتسائل: هل معنى هذا الكلام أن دعاء العبد لا يستجاب إلا حين يحس ويشعر من أعماقه بالرقة والرحمة لجميع الناس؟ والجواب: كلا فإن الدعاء خير وعبادة مطلوبة في كل حال ، ولذا عقب النبي (ص) بقوله من غير فاصل«اطلبوا الخير دهركم» ولكن أفضل الحالات للدعاء هي حالة الرقة كما سبقت الإشارة.

أما قوله (ص) «تعرضوا النفحات رحمة الله الخ فهو أمر بالتقرب إلى الله في الإحسان وصالح الأعمال، قال سبحانه : ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ [٥٦ الأعراف] وفيه إيماء الى أن رحمة الله تعم وتشمل من خلط قوله عز من قائل: «رحمتي سبقت ـ أو غلبت ـ غضبي» معناه بظاهر اللفظ أنه لا يغضب على أحد حتى ولو أساء ولم يحسن إطلاقاً؟ الجواب: كلا ، بل معناه أن الذين تنالهم رحمة الله من المذنبين أكثر بكثير من الذين ينالهم غضبه وعذابه من العصاة، هذا إلى أن غضب الله على المستحق رحمة أيضاً، قال الإمام أمير المؤمنين (ع): «لا يشغله غضب عن رحمة، ولا تولهه ـ أي تذهله ـ رحمة عن عقاب».

حكمة السفيه وسفه الحكيم

«غريبتان فاحتملوها: كلمة خير من سفيه فاقبلوها
وكلمة سفه من حكيم فاغفروها»

تحدث القدامى عن الإنسان: هل هو خيِّر أو شرير بالطبع والفطرة؟. ولا أعرف مبرراً لهذا الخلاف، لأن الانسان لو خلق على طبيعة واحدة من الخير المحض أو الشر المحض لفقد حرية الاختيار والتزم سبيلاً واحدة تماماً كالحشرات والحيونات التي لا تعرف شيئاً مما نسميه خيراً أو شراً وحلالاً أو حراماً.

وقال ابن النفيس: «ظهور الحكمة ممن ليس بحكيم كظهور السفه ممن هو حكيم، لأن للنفس هفوة، وللطبيعة طغية».

والذي أدركناه بالحسن والتجربة أن الله سبحانه أودع في نفس الإنسان العديد من القوى والغرائز، منها ما يميل به ويدعوه إلى الخير والصواب كالعقل والحلم والسخاء والإباء والشجاعة والقناعة ومنها ما يغريه بالموبقات والمحرمات والسفه والحمق والشره والطعم، ومعنى هذا أن دوافع النبالة والنذالة موجودة في كل واحد من بني الانسان، وان كل دافع أثره في حياة الفرد، طبعاً مع التفاوت شدةً وضعفاً واعتدالاً، وأيضاً معنى هذا أن أكثر الناس لؤماً وشراً قد تمرُّ به بارقة من نبل وأريحية

في ساعة لا يحضرها الشيطان، وان الجليل النبيل لا يخلو من ضعف أو نقص. والكمال المطلق لله وحده.

إذا تمهد هذا نشير إلى أن المراد بالسفيه هنا الطائش الذي يتسرع إلى كلمة السوء وقبح القول بلا روية، وبالحكيم الحليم المقابل للسفيه. والمعنى أن كلمة السفه في أي انسان لا يبرر الحكم المطلق على جميع أقواله بأنها سفاهة وضلالة، بل علينا أن ننظر إلى كل كلمة على حدة، فإن تك حقاً وخيراً قبلناها منه وإلا رددناها. قال سبحانه: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾[١٦ الأنعام] والحسن هنا نعم وتشمل كل حسنة من أين كانت وتكون . وأيضاً قد تصدر من الحليم هفوة من فلتات اللسان، فينبغي أن نتجاهلها ونغفرها لقوله تعالى: ﴿ان الحسنات يذهبن السيئات﴾ [١١٤ هود].

وبعد، فمن الخطأ أن نطلب من الإنسان أن يظل على حالة واحدة سفيهاً كان أو حليماً ، كيف؟ وهل في مقدوره أن يخرج من طبيعته البشرية أو يعطل مشاعرها وغرائزها؟ فالحليم قد ينقلب سفيهاً آناً ما، والسفيه حليماً في لحظة من اللحظات تبعاً لما يمر به من مفاجآت حتى الفولاذ يتحول بخاراً في بعض الحالات.

الرجولة أن تعطي ولا تستعطي

«طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريـرته، وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره»

طعام زكي، ومظهر نقي من كل شائبة، وسريره لا تعرف البغض والحسد، وعزلة عن الشر وأهله، فهل من خصلة أفضل من هذه الأربع وأمل؟ وهل دين الحياة والإنسانية إلا تأكيد لهذه الخصال والخلال؟

وأيضاً قال سيد الكونين: «إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس. . . إن أشرف الكسب كسب الرجل من يده» أي أن الطعام الأزكى والأنقى أن تكون اليد التي تأكل بها هي عين اليد التي انتجت خبزك وإدامك. وفي الأمثال: «من يده إلى فمه» فلحمك ودمك وكل أعضائك وكيانك ينبغي أن تكون من جهدك وصنع يدك، تعطي ولا تستعطي، ولا فضل عليك إلا لله وحده.

هذي هي الرجولة والبطولة، والاعتماد على الله والذات، أما من يحمل اللحم والشحم طولاً وعرضاً من كدح الكادحين، وهو قادر على الكدح ولا يكدح ـ «فليس يصلح إلا وهو مصلوب» كما قال ابن الرومي، وأية قيمة لمن تجري في جوارحه وعروقه دماءٌ ما له فيها أي جهد وعناء؟ وفي الحديث: «البطالة تقسي القلب» لأن البطال يأكل ويشرب في

فراغ، ولا يزعجه وخز الضمير ونهي الدين والعقل . قال فيلسوف صيني : «لا شيء يهم الذي لا يهتم بشيء».

أما نقي السريرة فهو كما قال الإمام أمير المؤمنين (ع) : « الخير منه مأمول، والشر منه مأمون»أي «يرفأ ثوبه دون أن يمزق أثواب الآخرين، ويتقدم دون أن يدوس من هو دونه أو يغار ويحسد من هو فوقه، ويرتفع دون أن يترفع، ويحب فئة من الناس دون أن يبغض سواها» وكأنّ الريحاني اللبناني يشرح بهذه النفحات قول الامام (ع): «الخير منه مأمول، والشر منه مأمون». وألف سلام على الطيبين الكرام.

هذا الدين متين

«إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق، ولا تُبغضّوا الى أنفسكم عبادة الله فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»

متين: قوي وكامل، أو غلوا: ادخلوا، المنبت: المسرع الذي ينقطع عن رفقته، وبنفرد عن صحابته والظهر: الدابة.

والمعنى أن الإسلام قوي بدعوته العامة الخالدة، وما على المسلم إلا أن يؤدي الواجب ويترك الحرام المنصوص عليها في كتاب الله وسنة نبيه، وأن يرفق بنفسه، ولا يقهرها على عبادة مستحبة إن تثقل عليها، بل ولا على واجبة إن أصرت بها كي تستمر على جادة الدين، ولا تنقطع عنه تماماً كما انفطع المسافر عن القافلة.

وفي الحديث: أن أعرابياً جاء يسأل رسول الله (ص) عن الإسلام، فذكر له النبي (ص) الفرائض وعقب عليها بقول: إلا أن تتطوع شيئاً. فقال الرجل: والذي أكرمك لا أتطوع شيئاً، ولا أنقص شيئاً مما فرضه الله عليَّ. فقال النبي(ص): أفلح الأعرابي بدخول الجنة إن صدق. ومعنى هذا أن الشرط الاساس للفلاح ودخول الجنة أن نترك واجباً ولا نفعل محرماً علماً بأن الله لا يأمر ولا ينهي إلا لجلب مصلحة أو لدفع مفسدة.

وبعد، فإن الاسلام لا ينكر على الناس أن يتمتعو بزينة الحياة، فيأكلوا طيباً، ويلبسوا فاخراً على أن لا يستدعي شيء من ذلك معصية الله قال الرسول الأعظم (ص): «كلْ ما شئت، والبسْ ما شئت ما أخطأتك خصلتان: سرف وخيلاء» وقال سبحانه: ﴿قل من حرم زينت الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ [٣٢ الأعراف». وبهذا اليسر ونفي الاصر وصمد الإسلام، وانتشر في شرق الأرض وغربها. ولكن بعض الواعظين المتطفلين ينفرون الناس من الدين بحججهم الزائفة ودعوتهم المنفرة. وعلى سبيل المثال قال واحد من هؤلاء فيما كتب ونشر ما حرفيته:

«فصاحب التلفزيون من عبدة الشيطان وأهل النيران وإن صلى وصام» أبهذا الأسلوب ندعو الشباب إلى الدين ونقدم الإسلام لعُقول القرن العشرين وهل من الورع والتقوى الحكم بالكفر أو الفسق على من يقتني مرآة وما أشبه من غير قيد وشرط علماً بأن أني شيء لا نص عليه بالتحريم فهو حلال محلل إلا أن يكون وسيلة إلى ما حرم الله، على أن المجتهد المشتبه معذور مأجور. وأيضاً جزم هذا الواحد بلا تحفظ من عقل ولا حيطة من دين بأن شرب السيكارة حرام وأن شاربها حمار «وإن تزيى بزي العلماء الكبار.. كيف لا يكون كذلك وقد وصفه رب العالمين كمثل الحمار يحمل أسفاراً... وأصبح المجتمع مستهيناً بترك الواجبات وارتكاب المحرمات اقتداء بهذا العالم الكبير»!

وقوله هذا يدل بصراحة أن يقصد عالماً معيناً باسمه وشخصه! وأيضاً يظهر من قوله أنه يدعي الاجتهاد وأنه فرغ من المعقول والمنقول والفقه والأصول! والدليل حكمه على المرجع الكبير بالضلال والتضليل وأنه يحمل أسفاراً لا لشيء إلا لأنه يشرب السيكارة! ولا أدري: هل قرأ هذا المكفر والمفسق رسائل الشيخ الانصاري وقوله في باب البراءة

بحلية «شرب التتن» مستدلاً بالأدلة الأربعة: الكتاب والسنة والاجماع والعقل! ولنفترض جدلاً (وفرض المحال ليس بمحال) أن هذا القائل مجتهد طليق فهل يسوغ له أن يحكم على المرجع الكبير بما حكم ! ثم أين حديث تُدرأ الحدود بالشبهات! وأيضاً هل يجوز لأي كان أن يفرض رأيه على غيره؟ وإذا كان مرجع الدين الكبير يحمل أسفاراً فمادا يحمل هذا الشيخ المتعاقل المتطاول؟ وكيف يستجيب الناس لدعوة الدين وقادته وهم أخطر الأخطار عليه؟

وأخيراً ، فإن على الكاتب أن يضع نفسه مكان القراء ويكتب لهم لا له ولأمثاله، وينظر إلى عقولهم لا إلى عقله، ويخاطبهم بلغتهم لا بلغته، ومحال أن يتأثروا بشيء من أقوال الكاتب وبينهم وبينه بُعد المشرقين.

شريعة القرآن

«أُنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية ظهر وبطن»

المراد بالأحرف هنا وجوه القراءات وصورها المتنوعة تبعاً لعدد القبائل وما اعتادته وجُبلت عليه من هيئة النطق بالكلمة وإخراج الحروف، وكلها تعبر عن معنى واحد مثل مالك وملك يوم الدين. وفي أصول الكافي عن الامام الصادق (ع) أنه قال: «نزل القرآن على حرف واحد من عند الواحد» أي واحد! وإن تعددت اللهجة والقراءة.

والظهر هنا بمعنى الظاهر من كلام القرآن، والبطن إشارة الى ما تنطوي عليه كلمته من حقائق وأحكام شتى في هويتها وغير متناهية في كثرتها، وأية محاولة ـ في أي عصر من العصور ـ للإحاطة بفهمها ومعرفتها بالكامل تبوء بالفشل لا محالة ،لأن شريعة القرآن عامة لكل زمان ومكان في شرق الأرض وغربها، فأية حادثة تقع في زمان من الأزمنة يستعمل مجتهد في ذلك الزمان النظر في آيات الله، ويستخرج منها حكم الحادثة الجديدة، ومعنى هذا أن أحكام الشريعة القرآنية تنكشف تدريجياً وتبعاً لتجدد الحوادث والوقائع، وأيضاً معنى هذا أن وضوح الدلالة في بعض الآيات على ما سيحدث في المستقبل القريب

أو البعيد ـ مرهون بوجوده في الخارج، وهذا من خصائص القرآن وإعجازه.

وعلى هذا يكون معنى تطور الأحكام بتطور الأزمان ـ على القول به في شريعة القرآن ـ هو استنباط أحكام جديدة لحوادث جديدة مدى الدهر، وليس معناه تطور الوجوب أو التحريم إلى الإباحة. أو الإباحة إلى الندب والكراهة. وأخيراً ، لو كانت أحكام الشريعة الإسلامية متناهية لكانت خاصة وغير خالدة، وما كان محمد (ص) خاتم الانبياء والرسل، وأيضا لو كانت كل أحكامها مقيدة بزمان معين لذهبت بذهابه، علماً بأن الشريعة القرآنية تهدف إلى خير الانسان والرفق به من حيث هو إنسان، وتلتقي مع كل شرع ونظام يرمي إلى هذا الهدف حقاً واقعاً أيا كان المشرع والمنظم.

الجماعة

«يد الله مع الجماعة، ولا يبالي الله بشذوذ من شذ. . . من خالف الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه. . . من أراد أن يسكن في بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة».

الربقة: العروة في الحبل، والبحبوحة : السعة، والمراد بالجماعة المتعاونون على الخير والصلاح الذي يعود على الجميع. بقرينة يد الله والخروج من الاسلام وبحبوبة الجنة وإلا فللشر والباطل دولة ورجال في كل زمان ومكان. قال سبحانه من جملة ما قال في هذا الباب: ﴿وإن تطوع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ [١١٦ الأنعام].

وتسأل: كيف تجمع بين هذه الآية والآية ١٥٦ من آل عمران ﴿وشاورهم في الأمر﴾ وحديث الحث على المشورة؟

الجواب:

إن المراد بكلمة شاورهم في الاية تطيب قلوبهم ومعاملتهم باللين والرفق بدليل قوله تعالى في نفس الآية :﴿فبما رحمة من الله لنت لهم. . . فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ حيث ربط سبحانه إقدام الرسول

(ص) على العمل بعزمه هو لا بأقوال الصحابة وآرائهم، هذا إلى أن النبي (ص) في غنى عن مشروتهم لأن الله سبحانه «قد قرن به من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليلة ونهاره» كما في نهج البلاغة.

أما حديث المشورة فالمراد منه الحث على الرجوع إلى الامناء الناصحين من أهل الاختصاص والمعرفة وعدم الاستبداد والانفراد بالرأي في الأمور المجهولة المصير والعاقبة. فكثيراً ما يكون الشر فيما يراه المستبد خيراً، والعكس بالعكس.

وبعد، فإن الله سبحانه مع من أتقن وأحسن مستقبلاً بعمله أو متعاوناً مع غيره، ولا فضل للجماعة إلا أن يكون لها أثر محمود وملموس ولو بشعيرة دينية أو ظاهرة انسانية، وإلا فان فساد الأغلبية يفوق كل فساد، بخاصة إذا هاجت حيث يعم الخراب والتدمير والنهب والتقتيل! ثم ألم يكن هتلر وأكثر الطغاة في عصرنا من مواليد الأغلبية البرلمانية الدستورية! وأخيرا هذا الحديث: «لا يكن أحدكم إمّعة، يقول: أنا مع الناس، إن أحسنوا أحسنت وإن أساءوا أسأت».

لكل زمان لباس أهله

«خير لباس كل زمان لباس أهله».

في الجزء الأول من كتاب زاد المعاد لمحمد بن أبي بكر الشهير بابن الجوزية: «كانت لرسول الله عمامة تسمى السحاب كساها عليًّاً . . . وكان يخطب وعليه عمامة سوداء، ودخل مكة فاتحاً وهو معتمر بها . . . ولبس الجبة والقباء والقميص والسروايل والإزار (كل ماستر) والرداء»: ما يلبس فوق الثياب كالعباءة والجبة.

وسئلت أكثر من مرة عن الشابات المسلمات يلبسن «البنطلونات» تقليداً للأوروبيات؟ فأجبت بأن هذه مسألة عرفية لا شرعية، لأن الشرع يأمر المرأة أن تستر شعرها وجسمها بالكامل ما عدا الوجه والكفين: ويترك نوع اللباس وشكله لما تعارف عليه المجتمع تماماً كسائر العادات والتقاليد إلا ما حرم حلالاً أو حلل حراماً.

وتسأل: أن بعض الأحاديث تستنكر الذكر بالأنثى والانثى بالذكر؟ الجواب: ينصب هذا الاستنكار على السلوك والتصرف لا على شكل اللباس، وأيضاً في الحديث: «أن الله لا ينظر إلى صوركم وأشكالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

دم الظالم هدر

«من دخل دار غيره ـ بلا إذن ـ فقد أهدر دمه . . إن الله ليمقت العبد يدخل اللص على بيته فلا يقاتل» .

وفي كتاب الوسائل باب الجهاد : قال رجل للإمام الباقر (ع) اللص يدخل علي بيتي يريد نفسني ومالي؟. فقال الامام (ع) : اقتله . . . فأشهد الله ومن سمع أن دمه في عنقي وقال الفقهاء : يسوغ القتل حيث لا وسيلة للخلاص من ظلم الظالم إلا بقتله.

وتقدم أن كف الظلم والأذى عبادة وفضيلة ، وعليه فالعكس بالعكس أي أن الظلم والأذى جناية ورذيلة . وبعض الجنايات عقوبتها القتل بالنص والإجماع وحكم العقل والعقلاء . ومن ذلك من دخل بيت غيره للعدوان على أهله بالقتل أو الضرب أو السرقة أو الفجور ، وغير ذلك من السيئات والإساءات . وما من شك أن الساكت عن ظالمه وهو قادر على مقاومته فقد ظلم نفسه . قال الرسول الأعظم : «من قتل دون عقال من ماله فهو شهيد» .

وأخيراً لو علم الظالم أن المظلوم يستميت دون حقه لتحاماه . ومن هنا رأينا الطغاة والمستعمرين يتخذون من المنافقين والانتهازيين أداة للتخدير والتخذيل والتثبيط والتضليل . ـ

الاسلام والعقل

«لكل شيء آلة وعدة، وآلة المؤمن العقل، ولكل شيء مطيه ـ أي طريق ـ ومطية المرء العقل، ولكل شيء دعامة، ودعامة الدين العقل، ولكل قوم غاية، وغاية العباد العقل، ولكل فئة داعٍ وداعي العابدين العقل، ولكل تاجر بضاعة، وبضاعة المجتهدين العقل، ولكل أهل بيت قيم، وقيم بيوت الصديقين العقل، ولكل خراب عمارة، وعمارة الآخرة العقل: .. وللناس منازل يوم القيامة علي قدر نياتهم وعقولهم».

العقل أصل الأصول:

هذي هي نظرة الإسلام الى العقل: إنه أصل الأصول عقيدة وشريعة، والركن الركين في كل ميدان وحقل دون استثناء حيث لا دين ولا حياة بلا عقل، وهذه النظرة من الإسلام إلى العقل تنفي عنه تهمة الجمود والانغلاق والاختصار على العتيق القديم، وتفتح الباب للعالم بشرع الله أن يستنبط كل حكم تقره بديهة العقل، وتتطلبه ضرورة

الحياة، ويرى فيه العقلاء الخير والصلاح للفرد والمجتمع.

إن علم التوحيد والعقيدة، وعلم الفقه وأصوله، وعلم التفسير والسنة، كل ذلك يرتكز على التفكير العلمي والمنطق العقلي، وهل من إمام أو عالم من المسلمين دعا إلى الاسلام ودافع عنه بغير العقل؟ وهذه الكتب الحديثة السهلة الشيقة التي تحبب أبناء الجيل بالإسلام، لماذا تنتشر وتوزع منها ملايين النسخ في شرق الأرض وغربها؟ أبداً لا سبب إلا أنها من ثمار العقل والثقافة العصرية؟

أبعد هذا يقال؛ مالدليل على أن الإسلام حق وصدق؟. إنه تماماً كالقول: ما الدليل على أن العقل حجة وبرهان! وهذي هي الجهالة والحماقة، لأن دلالة الدليل الأول طبيعية تماماً كالنظر بالعين والنطق باللسان والسمع بالأذن.

النية والعقل

لقد ساوى الحديث الذي نحن بصدده بين النية والعقل، والسر أن اخلاص النية يقرب صاحبه من الله جل وعز، وكذلك العقل السليم. قال النبي (ص) الدرداء: «ازدد عقلاً تزدد من ربك قرباً». فقال، وكيف لي بذلك يا رسول الله؟ قال: «أجتنب محارم الله تعالى وأدِّ فرائضه تكن عاقلاً، واعمل بالصالحات زدد في عاجل الدنيا رفعة وكرمة، وتنل في آجل العقبى من ربك تعالى القرب والعز».

وهكذا يربط الإسلام بين الدين والدنيا، فيعتبر العمل النافع لعبادة الله وعياله وسيلة السعادة دينا وآخرة، ومعنى هذا أن الإسلام في جوهره جهاد من أجل حياة أفضل، لا عمامة فوق الرأس وجلوس في صدر المحافل وتزمت وتقمط كي يقول المغفل والأبلة: هذا المعمم مفكر عميق ومؤمن عريق!.

هل كل غيبٍ خرافة

ورب قائل: إن الإسلام يعترف بسلطان العقل، ولكنه يعترف بالغيب أيضاً ويوجب الإيمان به، وهو مجرد خرافة في مفهوم الماديين.

الجواب

إن الموجودات في عالم الحق والواقع، منها ما يدرك بالعين، ويقاس بالمتر، ويوزن بالرطل كالأشياء الطبيعية، ومنها ما يدرك بآثاره وأفعاله، ولا تخضع ذاته للحس والتجربة كالعقل وما يلمع فيه من أفكار وتصورات، وما يختلج في القلب من ميول ورغبات، وما يختزن في الذاكرة من معلومات، أما خفايا الكون التي لا تدرك فلا يبلغها الإحصاء. ولا فرق إطلاقاً بين هذا النوع والأشياء الطبيعية من حيث الوجود والبعد عن الخرافة سوى أن الموجود الطبيعي يدرك بالحسن مباشرة ، والموجود الغائب عن السمع والبصر يدركه العقل بواسطة الحسن الذي يرى آثار هذا الغائب وأفعاله. وبكلمة إن التجربة لا تمدنا إلا بأقل صور العلم شأناً حتى عن الطبيعة نفسها.

وعليه تنحصر الخرافة بمالا عين له ولا أثر أو أي نحو من أنحاء الوجود كالمربع المستدير والإنسان الأعمى والبصير في آن واحد! والغيب الذي أقره الإسلام هو الموجود الغائب عن الحس. فأين هذا من الخرافة التي هي مجرد شبح وسراب؟ وفي نهج البلاغة: «ظهر فبطن» أي بطن ذاتاً وظهر أثراً.

أما الذين قالوا: المادة هي الموجود الوحيد فقد ساووا أنفسهم بالصخر والتراب والحشرات والذباب من حيث لا يشعرون! وفيما قرأت أن الماديين أشبه برجل رأى ساعة فشرع يبحث في داخلها عن صانعها!.

الولد

«الولد سيد نفسه سبع سنين، وعبد سبع سنين ووزير سبع سنين، فإن رضيت أخلاقه لإحدى وعشرين سنة وإلا فاضرب على جنبه، فقد أعذرت الى الله»

وفي معنى هذا الحديث قوله (ص) : دع ابنك يلعب سبع سنين، ويُؤدب سبعاً، وألزمه نفسك سبعاً؛ فإن أفلح وإلا فلا خير فيه.

يخرج الجنين من بطن أمه بلا إدراك حتى الثدي يهتدي إليه تلقائياً من غير تصميم سابق تماماً كحنان الوالدة، وفي السنة الثانية يميز ذاته عن غيرها، وفي الثالثة ـ يتحول من المهد إلى الطفولة، ورائدة المحاكاة والتقليد بلا شك وسؤال ، وفي الرابعة يسأل ويستفهم ، والخامسة تُؤهله لمدرسة رياض الأطفال، وفي السادسة يستطيع وصف بعض الأشياء على الإجمال؛ وفي السابعة ينتقل إلى مرحلة التأديب والتدريب

وفي كتاب الوسائل: «إذا بلغ الغلام ثلاث سنين يقال له: قل لا إلّه إلا الله سبع مرات، ثم يترك سبعة اشهر وعشرين يوماً وبعدها يقال له: قل محمد رسول الله سبع مرات حتى إذا أتم الرابعة قيل له: قل اللهم صل

على محمد وآل محمد سبع مرات حتى إذا بلغ الخامسة يُحوّل وجهه الى القبلة، ويقال له: اسجد، فإذا بلغ السادسة يُعلم الركوع والسجود. وإذا بلغ السابعة قيل له: اغسل وجهك ويديك ثم يترك الى التاسعة وعندئذ يُعلّم الوضوء الكامل والصلاة الصحيحة، ويضرب عليها. ويغفر الله لوالديه» وهكذا يسار بالطفل الى الدين خطوة فخطوة تماماً كالطعام والحركة قعوداً فقياماً فمشياً، ولا يتم التهذيب الديني إلا بهده التربية، ولكن أين هي التربية الإسلاميةفي عصرنا؟ اللهم إلا الصياح على المآذن والمنابر.

أما السبع الثالثة فبين بين، لا أمير ولا أسير؛ بل حياة طليقة من جهة، ومقيدة من جهة ثانية تماماً كالوزير يلتزم بموجبات الوظيفة ولوازمها، ويتصرف كيف شاء فيما عداها، فإن سمع الطفل وأطاع في السبع الثانية وأحسن وأصلح في الثالثة فذاك وإلا فلا خير فيه، وفي حديث آخر فخل عنه.

وهذا معنى قول الرسول الأعظم: «فاضرب على جنبه»[١]. وأخيراً، اتسع أهل الأرض من ابتلاه الله بامرأة سوء وولد عاق.

وسألني بعض الآباء المؤمنين: هل هو مسؤول أمام الله تعالى إذا تحمل متاعب ولده البالغ المتهاون بأحكام الدين وفرائضه؟ قلت له:

---

(١) على كل والد يؤمن باللهواليوم الآخر وبالخصوص الموالي للرسول وآله (ع) أن يقرأ الجزء الـ ١٥ من كتاب الوسائل باب أحكام الأولاد وغيره من كتب الأخلاق والاحاديث ، إن يك غير أمي والا سأل، والويل لمن أهمل.

أنت مسؤول عن توجيهه وتربيته الدينية كولي أصيل قبل بلوغه، فإن أهملت فعليك الحساب، أما بعد البلوغ فتُسأل عنه كناصح ومرشد، فإن استجاب فلنفسه، وإن أعرض فعليها، وما أنت عليه بولي ولا وكيل تماماً كأي شخص آخر، أما النفقة فلا يُسقطها فسق ولا كفر.

وفي كتاب الوسائل: أن رجلًا قال للإمام الصادق (ع) : أمي نصرانية، فهل أبرّها؟ قال الامام: برها حية، وإذا ماتت فلا تكلها إلى غيرك. فزاد الرجل في برها وإكرامها، ولما سألته عن السبب أخبرها بقول الامام ووصيته، فأسلمت واتقت.

العبقرية المبكرة:

وتحسن الإشارة الى أن حديث دع ابنك يلعب سبعاً الخ. لا يصدق ويطرد في كل طفل وصبي، بل هو منزل على أغلب الأطفال والصبيان، فإن هناك أولاداً على قوى مدهشة ومواهب مذهلة عقلاً وذكاء، فقد كتب « وليام سيدس»وهو في الرابعة من عمره عدة مقالات في الانكليزية والفرنسية ، وفي الخامسة كتب رسالة في التشريح وفي التاسعة كان مهيئاً لدخول الجامعة، وبدأ «جون ستيوارث مل» بتعلم اليونانية وهو في الثالثة، وقدم «أينشتين» نظريته النسبية لأول مرة، وله من العمر ١٢ سنة (انظر كتاب لمَ العقل؟ تأليف «برجن ايفانز» الترجمة العربية ص ١١٧).

وأحاط ابن سينا بالعديد من علوم عصره قبل أن يبلغ العاشرة، وكان يرد أستاذه إلى الصواب إذا أخطأ وهو يلقي عليه الدرس، واستقل في الإفتاء وهو ابن اثني عشر عاماً. وما من شك أن مسؤوليته الحساب والعقاب ترتكز على التعقل والتفهم. قال الرسول الأعظم (ص): ان الله

يحاسب العباد دقة وتسامحاً يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقل في الدنيا.

الإمامان: الجواد والهادي

وهذه الشواهد الحسية ومثلها كثير تُدعم وتعزز قوله تعالى عن يحي ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾ [١٢ مريم] وفي آية ثانية ﴿قل إن الهدى هدى الله... قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾[٧٣ آل عمران] أي لا يُفضّل عبثاً وجزافاً، بل بموجب علمه بمن هو أهل ومحل، أما قوله تعالى: ﴿إنما يتذكر أو لو الألباب﴾[١٩ الزمر]. ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾[٣٧ق] - فإنه واضح الدلالة على أن العبرة بالعقل الكبير والسمع السميع الى القول والعمل بالأحسن لا بقول الأطول والأعرض ولا بحامل سيبة السنين وعمر السبعين.

وفيما سمعت وقرأت أن رجلاً عليه هيبة التقدم في العمر دخل على أحد المراجع في الفقه، وهو باسط ساقيه، فطواهما احتراماً لسن الزائر ولحيته البيضاء. ولكن هذا المعمّر الوقور ما لبث أن سأل الفقيه سؤالاً كشف عن الجهل بجهله، وعندها بسط الفقيه ساقيه وقال: إذن نمدّهما.

ونحن الشيعة الإمامية بدورنا نقول: وإذن أية غرابة في إمامة محمد الجواد وعلي الهادي قبل بلوغها السن العاشرة ما دامت الصفات والشروط عندنا كلها متوافرة والآدلة، متواترة، أليس من شرط العمل بالدليل أن يكون حجة عند من يعمل به لا عند خصومه في الرأي أو العقيدة؟ ثم هل يسوغ لعاقل أن ينكر الفضل لا لشيء إلا لمجرد السن

والعمر، وقبل أن ينظر إلى دليل المدعي وحياة المدعي له بالإمامة والعظمة؟.

إن سيرة الأئمة بالكامل هي سيرة جدهم رسول الله (ص) الذي جعلهم عدل القرآن في حديث الثقلين، ﴿وطهرتهم من الرجس﴾ الآية ٣٣ من الأحزاب. وختاماً من أحب الاطلاع على سيرة أئمة الشيعة الإمامية فليرجع إلى كتاب الإرشاد للشيخ المفيد وكشف الغمة للاربلي وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين وأعلام الورى للطبرسي وفضائل الخمسة في الصحاح الستة للفيروز آبادي وغير ذلك من الأسفار الخاصة بإمامتهم ومناقبهم على جدهم وعليهم أفضل الصلوات وأزكى التحيات.

الإسلام والعلم

«من ظن أن للعلم غاية فقد بخسه حظه، ووضعه في غير منزلته التي وضعه الله فيها حيث يقول وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً . . . لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم، فإن ظن أنه قد علم فقد جهل. .. أعلم من جميع علوم الناس إلى علمه».

حد العلم أن لا حد له

من المستحيل على محمد (ص) أن ينظر هذه النظرة إلى العلمّ لولا الوحي: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [٨٥ الإسراء]. إن عقل الإنسان ينتقل من معلوم إلى مجهول، من شاهد إلى غائب. ولا مذياع وتلفاز ولا عقل إلكتروني وصعود على القمر ولا أي شيء ـ يوم قال هذا محمد (ص) يومىء من قريب أو بعيد إلى مكانة العلم وعظمته.

ولكن الذين يؤمنون بأن المادة هي الموجود الوحيد، يسخرون من هذه النظرة إلى العلم ،ويرونها سفسطة «وكلاماً فارغاً» لأن العلم كله ـ بزعمهم ـ مسجون ومحصور بما تراه العين، وتلمسه اليد، ويشمه الأنف، ويقرع السمع، ويقع في الفم، ويخرج من البطن ! . . . أبداً

لا أسرار في طيات الكون ولا غرائز في أعماق النفس ! أما حكم العقل فمجرد أحلام وأوهام ! .

ونسأل هؤلاء: هل يستند حكمكم هذا الى العقل أو الحواس ؟ فإن قالوا: إلى العقل. فقد ناقضوا أنفسهم وأبرموا ما نقضوا، وإن قالوا: إلى الحواس. كذبوا، لأن وظيفة الحواس أن تشهد لا أن تحكم.

زدنـــي علمـــاً

في الحديث الشريف: أبى الله أن يجري الأمور إلا على أسبابها» وعليه يكون معنى قوله تعالى ﴿وقل ربي زدني علماً﴾ [١١٤ طه] أطلب العلم طول العمر، لأن العالم حقاً وصدقاً هو الذي يزداد علماً على كر الأيام بالمتابعة والمراجعة، ومن تراءى له أنه قد أتم، وبلغ من العلم الغاية والنهاية هرب منه إلى غير رجعة. وفي الجزء الثاني من العقد الفريد: أن قتادة قال: «ما سمعت شيئاً قط إلا وحفظته، ولا حفظت شيئاً قط فنسيته، ثم قال يا غلام هات نعلي. فقال: هو في رجليك. ففضحه الله . . . وأيضاً قال قتادة : حفظت ما لم يحفظ أحد، ونسيت ما لم ينس أحد، حفظت القرآن في سبعة أشهر، وقبضت على لحيتي وأنا أريد أن أقطع ما تحت يدي فقطعت ما فوقها» ! .

وهكذا يُعمي الزهو والغرور صاحبه عن الواضحات حتى عن نعله ولحيته.

العقول وأهـــل القبـــور

قال السلفية: العلم حرام محرم إلا ما كان موروثاً عن السلف الصالح !. ونجيب:

١ ـ إن الارتياب في العلم ارتياب في العقل، وهذا هو الخبل

لمحض وعين الجهالة والضلالة، قال سبحانه: ﴿والذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾ [١٩ الزمر] وقال الرسول الأعظم (ص): «الحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها فهو أحق بها... أعلم الناس من جمع علوم الناس إلى علمه». إلى كثير من أحاديث هذا الباب.

٢ - لماذا شدّ العقول إلى أهل القبور؟ أحرصاً على الإسلام؟ وهل فيه ما يعارض العلم والعقل؟ وكيف ونبي الإسلام يقول: أصل ديني العقل وعلى هذا الأساس خاطب جميع الناس وكان خاتمة الأديان، وأيضاً على هذا الأساس قال الشيخ الأنصاري الكبير في كتابه المعروف بالرسائل، ما نصه بالحرف الواحد: «العقل شرع من الداخل، والشرع عقل من الخارج ... وكلما حصل القطع من دليل عقلي فلا يجوز أن يعارضه دليل نقلي، وإن وجد ما ظاهره المعارضة فلا بد من تأويله».

٣ - لقد تناول العلم الحديث كل جانب من جوانب الحياة الفردية والاجتماعية، ولو حرمنا على أي إنسان هذا العلم وثماره لوجب أن يُربط مع الدواب!.

ومن السخف والسخرية أن نجد أنفسنا مضطرين إلى التدليل على المسلمات الأولية، ولكن ما الحيلة إذا منعت الحكومة في قطر شقيق ذكر دوران الأرض في درس الجغرافيا؟[١].

وبعد، فمن الضروري لكل عالم أو متعلم منا أن يلم بجملة من

---

(١) في كتاب مجتمع جديد أو الكارثة للدكتور زكي نجيب محمود: سألت صديقي الذي يُدّرس في هذا القطر ماذا تقول حين تشير إلى هذه الحقيقة العلمية، فقال: أقول: إن الكفار قالوا بكروية الأرض وإنها تدور حول نفسها وحول الشمس!

الاتجاهات والثقافة السائدة وبخاصة الغربية، فإنها تزيده، ولا شك تفهماً لواقعه المعاصر، وتمسح من ذهنه العديد من الأخطاء. لأن الاطلاع على علوم الآخرين يساهم في نمو العقل وتطوره، ومن أنكر أية فكرة من غير بحث وتمحيص لا لشيء إلا أنها مستوردة فقد خالف الكتاب والسنّة من حيث لا يشعر.

لقد كتب القدامى عن الإسلام ونبيه، وأيضا كتب عنهما الجديد الذين تغذوا بالثقافة الحديثة، فأين هذا من ذاك ؟ هذا تحليلٌ وتعليلٌ لحقيقة الإسلام وكشفٌ عن كنوزه وأسراره، وذاك مجرد سرد ورواية. وبكلمة ان وسيلة الإثبات عند الكثير من أولئك النقل، وهي عند هؤلاء الحس والنتائج العلمية. وأخيراً صدق من قال: كلما تقدم العلم زادنا فهماً لمعاني كلمات الله تعالى.

الأدعياء يؤلفون وينشرون !

بالمناسبة نشير إلى أن بعض المنتسبين إلى الدين يؤلفون الكتب - في أيامنا هذه - في قضايا إسلامية، بل ومنهم من تصدى إلى الدفاع عن الإسلام بما يندي الجبين حتى اتخذ منه الذين في قلوبهم مرض وسيلة للتشنيع وحجة للطعن بالدين وأهله... إن برهان الإسلام قاطع لكل لسان، ولكن جهل الأدعياء بحقيقته وأهدافه وسوء تصرفاتهم، يحدث ردة فعل في نفوس الشباب.

لقد لاحضت فيما طالعت وقرأت أن خصوم الإسلام يحاربونه بطريق غير مباشر، قلّ من يفطن له كالتشكيك في حكم العقل لعلمهم بأن عقيدة الإسلام تقوم عليه، وكتطور القرد إلى إنسان خلافاً لنصوص القرآن، والتفسير المادي للتاريخ وغير ذلك مما يرفضه الدين، وإذا أفحم هؤلاء الأعداء بالحجة الداحضة الدامغة تشبثوا بأقوال الأدعياء وأفعالهم، وتجاهلوا أن الذنب ذنبهم لا ذنب الإسلام وشريعته.

وأخيراً هل يتقي الله بالسكوت الذين يدعون إلى الدين صباح مساء بما ينفر ولا يبشر، ويبعّد ولا يقرّب ؟ . .

التســـول

«ليس المسلكين هذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غناء يغنيه، ولا يفطن له، فيتصدق عليه، ولا يسأل الناس إلحافاً... استعفف عن السؤال ما استطعت ... من لم يسأل المخلوق فقد أخلص لله في العبودية».

القاسم المشترك بين المسكين والمتسول هو العوز والفقر، والفارق أن هذا يمد يده إلى كل مخلوق، ولا يمدها ذاك إلا إلى خالقها وحده، وهو المقصود بقول الرسول الأعظم (ص): لا يسأل الناس إلحافاً. وهذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً﴾ [٢٧٣ البقرة]. أما قول النبي (ص) «من لم يسأل المخلوق فقد أقر وأخلص لله العبودية»، فإنه يومىء إلى أن التسول فيه شائبة الشرك، وفي حديث آخر: أن رسول الله (ص) رد شهادة الذي يسأل بكفه، لأنه إذا أعطي رضي، وإذا مُنع سخط. وفي دعاء له صلى الله عليه وآله: أللهم إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الذل إلا لك، ومن الخوف إلا منك.

ولا نبتعد عن الصواب إذا قلنا: إن الذي يحترف التسول كمهنة لا يسوغ أن يُعطى من الصدقات الواجبة كالخُمس والزكاة، لأنه - وهذه حاله - تماماً كالقصاب والنجار، ومنهم من ينفق أموال التكدية على المخدرات والمحرمات، ويكنزها آخرون ثم يستجدون الطعام واللباس. وفي كتاب منهج القرآن للشيخ شلتوت : «هؤلاء ليسوا في واقعهم إلا أرباب سلب ونهب عن طريق استخدام الغش والخديعة».

أما حديث «استعفف عن السؤال ما استطعت» فنعطف عليه هذه الرواية عن سقراط، وبها يتضح المقصود من الحديث، رُوي أن خادم الملك مر بسقراط وهو يأكل الحشيش فقال له: لو خدمت الملك ما أكلت الحشيش. فقال: وأنت لو أكلت الحشيش ما خدمت الملك.

الإسلام الغريـــب

«بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ فطوبى للغربا. قيل: ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال الذين يزيدون إذ نقص الناس».

ظهر الإسلام في بيئة الشرك والإلحاد والضلال والفساد، فجاهد محمد (ص) المشركين والمنافقين وأهل الكتاب، وتحمل كل مكروه في سبيل الله حتى انتشرت دعوته، وعاش المسلمون معه وبعده إخواناً متكاتفين لا شقاق ولا عراك ولا فتنة ومحنة حتى تولى عثمان الخلافة، فطغى أهله وذووه في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، فعمّ التذمر، وكثرت الفتن، وانقسم المسلمون شيعاً، يتقاتلون ويتناحرون، وانحلت الأخلاق، وتدهورت القيم الإسلامية، وانتشرت الخرافات والطقوس الغريبة.

وغرابة الإسلام اليوم أشد منها من أي وقت مضى حيث لا وجود له إلا في الاسم والمظهر، فالأصوات ترتفع بقراءة القرآن البشير النذير، ولكن أين المتدبرون له والعاملون به ؟ وعدد المسلمين اليوم ألف مليون[1] ولكن أين بأسهم ومناعتهم ؟ أفي القدس وفلسطين أو في

(١) مجلة العربي الكويتية العدد ٢٢٣ ص ٥٠

جنوب لبنان والجولان أو في أي مكان ؟.... أبداً، إنهم في شغل شاغل بأنفسهم تقتيلاً وتشهيراً ! . قال الشيخ محمد عبده: قد تجد في أوروبا مسلمين بلا إسلام، وفي البلاد الإسلامية إسلام بلا مسلمين.

والمراد بالغرباء في الحديث المخلصون في مقاصدهم وأقوالهم وأفعالهم، وهم غرباء بين قوم لا دين لهم ولا ضمير.

أصـــل التفاهم الصراحـــة

«لو تكاشفتم ما دفنتم .... حقد المؤمن مقامه، ثم يفارق أخاه فلا يجد عليه شيئاً، وحقد الكافر دهره».

تكاشفتم: أظهر كلٌ ما في نفسه للآخر، ما دفنتم: ما حقدتم هذا أمر في صيغة الخبر موجه لمن يجد في نفسه شيئاً على أخيه، وإن عليه أن يصارحه ويخبره بما يلومه عليه، ولا يُبقي شيئاً في دخيلته، لأن أصل التفاهم الصراحة، بخاصة بين الأخوين. وفي الحديث: «سريرة المؤمن وعلانيته واحدة» فإن كان العاتب محقاً اعتذر الذي عليه الحق، وإن كان مخطئاً كشف له عن الحقيقة ورده إلى الصواب، ولا يحمد السكوت مع الضغن وسوء الظن، بل هو حقد وغل، والله سبحانه يقول: ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾]١٦١ آل عمران].

وفي شتى الأحوال من اعتذر إليك فقد خضع لك واستسلم، ومن المروءة أن ترحب به. قال نبي الإنسانية (ص): «من لم يقبل من متنصل عذراً صادقاً كان أو كاذباً لم ينل شفاعتي». وأيضاً قال: «شر الناس من لا يغفر الذنب، ولا يقيل العثرة».

وقال الإمام أمير المؤمنين (ع): «لا تصرم أخاك على ارتياب، ولا

تقطعه دون استعتاب، لعل له عذراً وأنت تلومه. أقبل من متنصل عذراً صادقاً كان أو كاذباً. فتنالك الشفاعة».

والمراد بالمؤمن في قوله (ص) حقد المؤمن كل نبيل كريم، وبالكافر كل وغد لئيم تماماً كما تقول: الصادق إذا وعد وفى، والكاذب إذا وعد أخلف، فمن شأن الأول الوفاء وإن يك كافراً بالله، ودأب الثاني الكذب وإن شهد لله بالتوحيد، والمعنى قد يغضب النبيل لسبب أو لآخر، ولكنه لا يخرج من الخير إلى الشر، بل سرعان ما يسمح ويصفح، لأنه للناس، كل الناس بسجيته وأريحيته، أما الوغد فلا يعرف إلا ما يشتهي، ولا يشعر إلا بنفسه، ولا يطمح إلى أية فضيلة. وبكلمة الله سبحانه ﴿قل كل يعمل على شاكلته وربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾ [٨٤ الإسراء]. وقال رسول الله (ص): «المؤمن مثل النحلة لا تأكل إلا طيباً، ولا تضع إلا طيباً» ونعطف عليه: والخبيث مثل الخنفساء لا تحوم إلا على الجيف، ولا تنفث إلا سمومها.

المـــدح والقـــدح

«ليس بعاقل من انزعج بقول الزور فيه، ولا بحكيـم من رضـي بثنـاء الجاهـل عليه».

كذوب وجهول، هذا يمدح وذاك يقدح، والشهادة عن جهل تماماً كشهادة الزور، كلتاهما بمنزلة سواء من حيث الرد وعدم القبول، وإذن علام الرضا والغضب؟ وهل يقاس المرء بعمله وعمله أو باقال والقيل من الجهلة والسفلة؟ قال الإمام الصادق (ع): «لا يصير العبد خالصاً لله حتى يصير المدح والذم عنده سواء، لأن الممدوح لا يصير مذموماً بذكر الناس، وكذلك المذموم» وقال ولده الإمام الكاظم (ص): لو كان في يدك جوزة وقال الناس: هي لؤلؤة ماذا ينفعك؟ ولو كان في يدك لؤلؤة وقالوا: هي جوزة ماذا يضرك

ولا يرتاب في ذلك عاقل على وجه الأرض، ولكن فريقاً من الأغبياء يحبون المديح لذاته، ويجعلونه هدفاً يسعون إليه بأغلى ثمن حتى مع علمهم بكذب المادح ونفاقه. فإن لم يجدوا أحداً يثني أثنوا على أنفسهم، وقد عرفت الكثير من هؤلاء، وأيضاً غيري يعرف عدداً أكثر وأوفر، وما لهذا الفريق من علاج ما داموا لا يسألون أنفسهم ماذا يجب أن يقولوا ويفعلوا.

وبأي شيء تُقنع من يصف نفسه بأضخم الألقاب، وينشرها على الغلاف إن كتب ونشر، ويتوقع منك أن تنعته بها إذا عرّفت به أو أرسلت له خطاباً وإلا فقد بخست حقه وأشياءه! وما من شك أن الكبير النبيل لا يأبه للألقاب لأنها قشور، ولا يعتمد إلا على خالقه وجهده وجهاده.

وكان رسول الله (ص) يوصي أصحابه أن لا يبالغوا في تعظيمه، ويكرر عليهم: إنما أنا عبد، فقولوا عبدالله ورسوله، ومن أحاديثه: «رأس التواضع أن تكره المديح بالبر والتقوى... أُحثوا التراب في وجوه المادحين.... من طلب الرياسة هلك». وحين قال الرسول(ص): أنا سيد ولد آدم عقب بكلمة «ولا فخر» أي لا أقول هذا تفاخراً، لأني لا أفتخر إلا بطاعة الله سبحانه.

حــــول الكلام

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً ويصمت... رحم الله عبداً قال خيرا فغنم أو سكت فسلم... من عرض لأخيه المتكلم في حديثه فكأنما خدش وجهه».

خيــــر القول ما نفــــع

الكلام خير إذا استُخدم في الصدق لا في الكذب، ولإحقاق الحق وإبطال الباطل، ولنشر الهدى والعلم لا للتجهيل والتضليل والدعايات الكاذبة. وفي نهج البلاغة: لا خير في الصمت عن الحكم، كما أنه لا خير في القول بالجهل. وأيضاً الكلام خير إذا كان فيه راحة ومتعة سائغة كأحاديث الأهل والخلان ساعة الفراغ. فقد جاء في الجزء الثامن من الوسائل: إن الإمام الباقر (ع) قال لبعض أصحابه: «أتختلون وتتحدثون وتقولون ما شئتم ؟ قال: أي والله. فقال الإمام (ع): أما والله لوددت أني معكم في تلك المواطن... وقال الإمام الصادق (ع): ما من مؤمن إلا وفيه دعابة. قيل: وما الدعابة ؟ قال المزاح. إن المداعبة من حسن الخلق، وإنك لتدخل بها السرور على أخيك، ولقد كان رسول الله (ص) يداعب الرجل، يريد أن يسره».

وبرغم هذه الأحاديث وغيرها فإن بعض المعممين يأبى إلا التحجر والتزمت حرصاً على الوقار والجلال واحتراماً للحية والعمامة وخوفاً من ذهاب السمعة والشهرة! ونسي هذا البعض أو جهل أن ثبوت شيء لشيء فرع ثبوت المثبت له.

المتكلـــم والمستمـــع

للمتكلم والمستمع آداب كثيرة، ومن واجبات الأول أن يسترسل في الكلام على سجيته بلا تكلف وتعسف، وأن لا يهرف بما لا يعرف، ولا يطفر من الشيء إلى نقيضه بلا سبب موجب، ولا يسأل السؤال دون أن ينتظر الجواب، ولا يقول ما لا يراد منه. قال بعض العارفين: حدّث الناس ما أصغوا إليك بأسماعهم ولحظوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم اعراضاً فأمسك. وقال الشاعر:

ما لصوت أغلقت من دونه الأسماع معنى

ومن واجبات المستمع أن يعي قول المتكلم ولا يشاركه في الحديث، وان كان به عالماً، وأن يمهله حتى ينتهي، وهذا ما أراده النبي (ص) بقوله: «من عرض لأخيه المتكلم فكأنما خدش وجهه». والخدش: الجرح الخفيف في ظاهر الجلد، واستعمله النبي هنا في المكروه على المجاز.

وما من شك أن المتكلم إذا تجاوز اللياقة والحدود الشرعية يسوغ للمستمع أن يعقد لسانه بأسلوب مألوف، قال سبحانه: ﴿وإذ اسمعو اللغو أعرضوا عنه﴾ [٥٥ القصص]. والكثير من الرُّعن يتبسطون في اللغو والسخف والادعاء الفارغ، بل منهم من يتعدى الى الهمز واللمز، وينصب من نفسه حكماً بين الناس وعليهم، فيعطي لنفسه التقى والعلم والذكاء، ولغيره الجهل والتهم... أبداً هو وحده «التبر والذهب

المصفى وباقي الناس كلهم تراب» ! ولو فكر هذا الفريق من الناس قليلاً لاشتغلوا بذنوبهم عن ذنوب الآخرين. ولا علاج لهذا السخف والغرور إلا التحقير والازدراء.

مـــا ينفـــع الميـــت

«ما يمنع الرجل منكم أن يبر والديه حيين وميتين، يصلي عنهما ويصوم ويحج، فيكون الذي صنع لهما، وله مثل ذلك فيزيده الله ببره وصلاته خيراً كثيراً... إن العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما ثم يموتان فلا يقضي عنهما ديوانهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عاقاً، وإنه ليكون عاقاً لهما في حياتهما غير بار لهما فإذا ماتا قضى دينهما، واستغفر لهما فيكتبه الله باراً».

إذا مات الإنسان انقطع عن العمل لا لشيء إلا لأنه ميت، وبكلمة أجمع وأنفع: «اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل». ومع هذا فمن الثابت نصاً وإجماعاً انتفاع الميت وهو في قبره، بأحد أمرين:

١ ـ أن يترك هو بالذات أثراً خالداً ومفيداً لأخيه الإنسان، وليس من الضروري أن يكون هذا الأثر عظيماً (كلمبة) اديسون التي يتلألأ نورها كنور الشمس في أطراف الأرض أو كمذياع ماركوني الذي الغي المسافات وأخبر عن الحادث ساعة حدوثه أهل الشرق والغرب، بل يكفي أن يترك الميت أي جهد يُنتفع به بجهة من الجهات، قال سبحانه.

﴿وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ [١٧ الرعد]. وفي الحديث: «الناس عيال الله، وأقربهم إليه أنفعهم لعياله... إن لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس، أولئك هم الآمنون يوم القيامة».

٢ ـ أن يعمل الإنسان خيراً بقصد أن يكون أجره وثوابه للميت، فإن الله سبحانه يعطي ـ في هذه الحال ـ الأجر كاملاً للميت ومثله للعامل دون أن يُنقص منه شيئاً. قال رجل للإمام الصادق (ع): هل يدخل ثواب العمل من أجل الميت على الميت ؟ فقال الإمام (ع): «نعم حتى يكون مسخوطاً عليه فيغفر له أو يكون مضيقاً عليه فيوسع عليه. قال السائل: هل يعلم الميت أن هذا الذي لحقه هو من ذلك العمل ؟ فقال الإمام (ع): نعم»[١].

هـل مـن متعظ ؟

ولمجرد العظة نذكر الحديث السابق مرة ثانية: «ان العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما ثم يموتان فلا يقضي عنهما ديونهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عاقاً، وانه ليكون عاقاً لهما في حياتهما غير بار لهما فإذا ماتا قضى دينهما، واستغفر لهما فيكتبه الله باراً».

أبداً لن تتحرر من حقوق الوالدين بحال حتى ولو فارقاك بالموت إلا أن تشعر من الأعماق، وتدين بينك وبين الله أنك مدين لهما ما دمت حيا، أما طريق الوفاء فهو أن تؤدي عنهما ما لله عليهما من خُمس وزكاة وحج وصوم وصلاة، ونفس الشيء فيما يعود إلى ديون الناس، فإن علمت بأنهما بريئان من كل حق أو جهلت الواقع ذكرتهما، كلماسنحت الفرصة، بصدقة وفاتحة ودعاء بالرحمة والمغفرة.

---

(١) كتاب الوسائل ج ٨ ص ١٣٩ طبعة ١٣٨٦ هـ.

الأغنياء والفقراء

«ما عذب الله أمة إلا عند استهانتهم بحقوق فقراء اخوانهم... إن الله عز وجل جعل للفقراء في أموال الأغنياء ما يكفيهم، ولولا ذلك لزادهم، وإنما يؤتون من منع من منعهم... إن الله كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة والبلوى... إن الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء وحقيق على الله تبارك وتعالى أن يمنع رحمته ممن منع حق الله في ماله».

الاشتـــراكيـــة

نقرأ في بعض الكتابات ألفاظاً لا مدلول لها ولا أساس في عالم الواقع مثل «إشتراكية الإسلام أو رأسمالية الإسلام» لأن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية هي من صنع الإنسان وأفكاره، والإسلام الموحي به من الله سبحانه هو الدليل والميزان الذي يميز بين الحق والباطل والصحيح والفاسد تماماً كالعقل، والفرق بعيد جداً بين الميزان والشيء الموزون والحجة واللاحجة، والدين الذي يقول: «الناس مسلطون على أموالهم ... إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، لا يحل دم امرىء ولا

ماله إلا عن طيب نفس»[1] إن هذا الدين يحمي الملكية الفردية، ويرفض التأميم، فأين مكان الاشتراكية ؟.

وقال قائل: الزكاة مظهر من مظاهر الاشتراكية ! . ونقول في جوابه: إن لفظ الزكاة بنفسه دليل قاطع على الملكية وصرخة احتجاج على إلغائها حيث لا زكاة إلا في ملك، ولا نقش بلا عرش، والاشتراكية تلغي الملك أو تحده ببلغة الكفاف، ولا زكاة مع هذه القيود والحدود.

ثانياً: كل المذاهب الإسلامية لا تعطي الزكاة لغير المسلم، وإن كان فقيراً معدماً ووديعاً مسالماً علماً بأن الاشتراكية تطبق على الجميع دون استثناء، أجل تسوغ صدقة التطوع على غير المسلم. وما هي في شيء من الزكاة.

وقال آخر: إن حديث «الناس شركاء في ثلاثة: الماء والكلأ والنار» والملح في حديث ثانٍ ـ هو من نوع التأميم ! . ونجيب بأن من نبع الماء في ملكه فهو له، ونفس الشيء إن سبق سابق إلى الكلأ والملح المشاع والحطب والفحم والنفط والماء المباح، وأحرزه في وعاء ونحوه، ولا يسوغ لسواه أن تمسه يداه إلا بإذنه، فأين مكان التأميم؟.

أيضاً لا رأسمالية

وأيضاً يقول الإسلام: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ [٣٥ التوبة] . ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون﴾ [٦٤ المؤمنون]. والمراد

---

(١) في الجزء الثالث من الوسائل: إن الله سائلكم حتى عن مس أحدكم ثوب أخيه بإصبعه.

بالمترفين الذين يتنعمون في ملذات الحياة، وإلى جنبهم المعدومون يتضورون جوعاً. إلى العديد من آيات هذا الباب وأحاديثه، ومنها ما ذكرناه في المتن، وكلها حرب بلا هوادة على المستغلين والمحتكرين.

وقلت في بعض ما كتبت ونشرت: تحتل مركز الصدارة في عصرنا الراهن كتلتان: الأولى تلغي وجود الفرد بدعوى الحرص على مصلحة الجماعة، وتركز كل شيء في أيدي رجالها وأنصارها، فتقبض على زمام السلطة والاقتصاد بالكامل، وعلى التشريع والتنفيذ والقضاء. ولا رأي وكلام إلا لها ومنها، وما على الآخرين إلا السمع والطاعة، ومن أبى عوقب كجانٍ على الحق العام.

أما الكتلة الثانية فتعترف بوجود الفرد وحريته في التعبير عما يشاء، وتفسح له مجال الاستفتاء، ولكن هذا الاعتراف شكلي ولا واقعي، وهذه الحرية وهمية لا أساس لها، لأن هذه الكتلة تحدد وتخطط سلفاً للمواطنين الآخرين الطريق الذي تريد هي أن يسلكوه إلى مرادها، وتدفعهم إليه بأحدث الوسائل الفنية التي تتلاعب بعقول الناس وميولهم، ومن هذه الوسائل الصحف والإذاعات والدعايات الجذابة الخلابة والدراسات النفسية التي يقوم بها أخصائيون بارعون في استهواء النفوس، إلى غير ذلك من المؤثرات، ومعنى هذا أن الكتلة الشرقية والغربية تلتقيان على صعيد اللاحرية واللاإنسانية.

هل للإسلام نظام اقتصادي ؟

وتسأل : هل جاء الإسلام بنظام اقتصادي جديد ؟ وما هو نوعه ـ على فرض وجوده ـ ؟ .

الجـواب :

ما من شك أن رسول‌الله (ص) جاء بعقيدة وعبادة غريبة عن مجتمعه وبيئته. وأيضاً لا شك أنه لم يضف جديداً إلى ما كان عليه الناس من الرغبة في التملك والعمل بحرية من أجل العيش في ميدان التجارة والصناعة والزراعة، وإنما وجد صوراً للتعامل والتعاون والتبادل، فأقرها النبي (ص) مع التقليم والتطعيم على أساس المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات، وصرح القرآن الكريم بهذا الإقرار في العديد من الآيات، منها: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾ [١٥ الملك]. ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾ [٢٠ المزمل]. وفي الحديث: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده». وفي عهد الإمام (ع) للاشتر التوكيد على الاهتمام والعناية بالتجار والصناع والعمال والزراع. وهكذا كل امرىء وما اختار لنفسه من مهنة وعمل بلا ضغط واستغلال ولا إرهاب واستعمار.

ومن هنا كان العرف مستنداً شرعياً لكثير من الأحكام العملية حتى اشتهر بين الفقهاء: «التعيين بالعرف كالتعيين بالنص. المعروف عرفاً كالمشروط شرعاً إلا أن يحلل حراماً أو يحرم حلالاً، المعاملات طلق حتى يرد النهي». وقد نهى الشرع عن الراب والغش والضرر والإسراف، وأوجب الخُمس والزكاة في أموال الأغنياء. والتفصيل في كتب الفقه، ولا أدري: هل يسمى النهي عن الربا وأموال المستضعفين واليتامى والمساكين والأمر بأداء الحقوق المالية ـ نظاماً اقتصادياً ؟.

وأخيراً فإن الإسلام يحمي الضعيف من القوي، ولا يجرد أحداً من

حريته ومكاسبه ولا يحد من مواهبه و؟يثني عن عزائمه عن الكدح والتملك، وفي الوقت نفسه لا يسمح له بالثراء أو العيش على حساب الآخرين،

البطـــالــة رذيلـــة

«إن الله يبغض العبد البطال. . . . البطالة تقسي القلب. . . تــرك التجارة مذهبــة للعقـــل».

البطـــالـــة

حروف البطالة تـــدل ـ بصلب تكوينهـــا وتركيبهـــا ـ على ما يـــراد منها وأنها ترادف العطالة ومصدر للباطل، ولكن إذا دققنا وأمعنا النظر فلا نجد عاطلاً عن كل شيء، لأن النفس، أية نفس، لا بد لها من شيء تتشاغل به، ولو بالتناقل من مقهى إلى ملهى أو بالتردد بين مجالس التهاني والتعازي أو قتل الوقت بحديث الرخص والغلاء والطقس. والأجواء وفلان طويل وعلتان قصير. كما يفعل المخنثون الكسالى. وفيما يلي نذكر أهم ما يمتاز به الشغال عن البطال وهذا عن ذاك.

الشغـــال الشجـــاع

ومن خصائصه الثقة بالنفس وقوة الشخصية ومضي العزم وعلو الهمة ومجابهة الأخطار والاستمرار في بذل الجهد والصبر على الشدائد. وهذا هو السبيل إلى نجاح الحياة، لأنها حركة دائبة وعمـــل متواصل حتى ولو كان فيه اغلاط وأخطاء. قال الكسيس كارل في كتابه

تأملات في سلوك الإنسان ترجمة محمد محمد القصاص: «لا نجاح بلا عمل... ونجاح الحياة لا يتعاض مع وجود كثرة الأخطاء، ولكن الذي يتعارض معه على خط مستقيم هو الكذب والرياء وعدم العمل، وفي الحياة البدائية كان الموت دائماً عقاباً للضعف وعدم العلم».

البطـــال الجبـــان

وصفات البطال على العكس تماماً من صفات الشغال: شخصية متفسخة مهترئة، وأعصاب معلولة مشلولة، وفشل دائم وملازم، وأعذار كبيت العنكبوت، وتهرب من المسؤولية وإلقاء اللوم على الحظ حيناً وأحياناً على الآخرين، وتواكل على العاملين الكادحين.

بقي أن نشير إلى أن قسوة القلب وذهاب العقل - اللذين وردا في الحديث - هما كناية عن أن البطال يعيش من غير قلب وعقل حيث لا عين ولا أثر لهما في الخارج، لأن العمل المحسوس هو الدليل على ما يدور في العقل، ويحس به القلب، ولا شيء عند البطال إلا كثرة القيل والقال. وفي سفينة البحار عن السيد المسيح (ع)، أنه قال: «الذين يكثرون الكلام قاسية قلوبهم، ولكن لا يعلمون». وفي كتاب الحكمة الخالدة: تعرف خساسة المرء بكثرة كلامه فيما لا ينفع، وفي إخباره بما لا يُسأل عنه ولا يراد منه..

الحــــرفــــة فضيلـــــة

«اسع على عيالك، وإياك أن يكونوا هم السعاة عليك، إن الله يحب العبد المحترف. . . وقال ابن عباس: كان رسول الله (ص) إذا نظر إلى الرجل فأعجبه قال: هل له حرفة ؟. فإن قالوا: لا. قال: سقط من عيني. قيل له: ولماذا؟. قال: لأن المؤمن إذا لم تكن له حرفة يعيش بدينه».

الحرفة: من الاحتراف وهو الاكتساب بتجارة أو صناعة، وأية حرفة تمسك الرمق فهي نعمة، لأنها تُغني عن الناس، وهل للإنسان من وزن ـ أي إنسان كان ـ إذا مد يده إلى واحد من الخلق؟. قال سبحانه: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ [٨ المنافقون]. ومن المعلوم بالحس أنه لا عز إلا مع الاكتفاء الذاتي، قال الإمام السجاد وسيد العباد (ع): «إلّهي إن وكلتني إلى خلقك تجهموني، وإن ألجأتني إلى قرابتي حرموني، وإن أعطوا أعطوا قليلاً نكداً، ومنّوا عليّ طويلاً، وذموا كثيراً».

هذا إلى أن السعي على النفس والعيال من أفضل الأعمال. وفي

لحديث: «إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا حج، وإنما يكفرها سعي الرجل على عياله». وفي حديث آخر: «من طلب الرزق من حله ليعود به على أهله ونفسه كان كالمجاهد في سبيل الله. ويحشر يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر». ورأى النبي (ص) رجلاً منقطعاً إلى العبادة. فقال له من يسعى عليك ؟ قال: أخي. قال: هو أعبد منك إذهب واعمل. وما من شك في أن التشاغل بالتعبد عن العمل من أجل العيش ليس بحرام، ومع هذا نهى عنه النبي (ص) إرشاداً إلى ما هو أفضل عند الله وأكمل.

وكان أبو بكر بزازاً، يبيع الثياب، وعمر دلالاً، يسعى بين البائع والمشتري، أما الإمام علي (ع) فكان يستخرج الماء من الأرض فتحيا بعد موتها، ومن ذلك عين تنبع جعلها للحجيج، وهي باقية إلى يومنا هذا. ومن أقواله: الحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور.

العيش باسم الدين

وتسأل: من هو المقصود بقول النبي (ص): «يعيش بدينه» ؟.

الجواب:

المقصود من يمتطي الدين إلى الدنيا. وفي نهج البلاغة «يحتلبون الدنيا درهاً بالدين، ويشترون عاجلها بأجل الأبرار». وعلى أية حال فإن الذين يعيشون باسم الدين وعلى أمواله هم ثلاثة رجال:

١ ـ من يتخذ الدين حرفة للعيش تماماً كالنجار والجزار، فيلبس العمامة لا لشيء إلا ليبيع نفسه كرجل دين لكل من يدفع الثمن حتى ولو كان عدواً لله وحرباً على دينه وشريعته!. وهذا مارق ومفتر، ما في ذلك ريب، وجزاؤه سوء المآب ديناً وآخرة.

٢ ـ من ينخرط في الحوزة العلمية، ويُظهر التشاغل بالعلم ليقبض من سهم الإمام (ع) دون أن يبذل جهد المستطيع لتحصيل الدرس المقرر لأمثاله أو يشعر بالمسؤولية عن فهمه وهضمه!. وهذا لص محتال، وخير له أن يمسح الأحذية بأجر بخس، من هذه القرصنة واللصوصية. وقد فشا هذا الوباء في الأوساط الدينية، وتفاقم بصورة تثير القلق والهلع من سوء العاقبة، والسبب الرئيسي الذي شجع هؤلاء الدخلاء هو أن المراجع يوزعون سهم الإمام (ع) على كل من كوّر العمامة وأطلق اللحية من غير تمييز بين الدخيل والأصيل.

٣ ـ من انصرف بكله إلى العمل، وداوم في تعلمه وتعليمه بقصد العمل به، وليس شك أن الاشتغال بالعلم مانع من الكسب والحرفة، وأن طلب العلم بحلال الله وحرامه أفضل من كل فضيلة، ومن هنا اتفق علماؤنا على أن المستحق الأول والأفضل لسهم الإمام (ع) هو المتعلم على سبيل نجاة، وبالأولى العالم العامل المعلم. وفيما قرأت: أن الدنيا بكاملها لو اجتمعت في لقمة وتناولها عالم أو متعلم لوجه الله ـ لكانت دون حقه ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ ـ «المجادلة».

أحكام الإسلام في الحياة الدنيا

«الإسلام يُحقن به الدم، وتؤدى به الأمانة، وتستحل به الفروج».

تعـريف الإسلام

لك أن تعرف الإسلام بكلمة واحدة وهي الاستقامة قال سبحانه: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ [١١٢ هود] أو بكلمتين: دعوة عامة وخالدة أو بالشهادتين: لا إله إلا الله محمد رسول الله أو بثلاث كلمات: الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، وأيضاً يتسع المجال لكتاب ضخم في التعريف بالإسلام من جميع جهاته. ولست الآن بصدد الحديث عن الإسلام وكنوزه وأسراره، ولا عن المسلم الفائز الناجي بإسلامه يوم القيامة. وإنما القصد الأول هو التعريف بمن تجري عليه أحكام الإسلام من المخالطة والمناكحة والتوارث وما أشبه تمييزاً له عن اليهودي والنصراني وغيرهما من أهل الأديان.

من تجري عليه أحكام الإسلام

ويتضح الجواب عن هذا السؤال في البيان التالي:

١ ـ أي إنسان يولد من أبوين مسلمين أو كان أحدهما مسلماً ـ فإنه يعامل كمسلم إلا أن يثبت العكس بعد بلوغه أو قبله، إن يك عاقلاً

راشداً

٢ ـ كل إنسان يقول : أنا مسلم أو ينطق بالشهادتين أو بأية كلمة تدل على الإسلام أو يؤدي عبادة خاصة بالمسلمين وحدهم كالحج إلى مكة والصلاة إلى الكعبة والصيام في رمضان . فله ماللمسلمين وعليه ما عليهم، قال سبحانه: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾ [٩٤ النساء] والسبب الموجب لنزول هذه الآية أن النبي (ص) أرسل سرية من أصحابه، فالتقوا برجل معه مال، فنطق بكلمة تدل على إسلامه، ولكن بعضهم اعتبرها وسيلة للنجاة وقتله، ولما علم النبي (ص) وبخ القاتل وأنبه، فقال: ما نطق بها إلا هرباً من القتل. فقال له النبي: هلّا شققت عن قلبه.

وسئلت أكثر من مرة: هل الدروز من المسلمين؟ وكان جوابي أن أهل الاسلام هم القوم الذين يدينون به، أي اسلام القرآن وسنة النبي (ص) وهم الذين يحجون الى الكعبة،ويزورون الروضة المحمدية، ويصلّون إلى القبلة، ويعلنون من على المآذن الشهادة لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة ويصومون رمضان ويأتون الزكاة ويدرسون القرآن والسنة النبوية في المدارس والمعاهد، وينشرون الإسلام في الصحف والكتب والإذاعات، ولا يخفون منه شيئاً عملاً بقوله تعالى ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ [٣٣فصلت] وفي الحديث: الإسلام علانية، والإيمان في القلب» أي على المسلم أن يعلن إسلامه على الملأ حتى إذا جرت عملية الإحصاء لأهل الأديان كان المسلمون قوة وكثرة، قال الرسول الأعظم«تناكحوا تناسلوا فإني أباهي بكم الامم حتى في السقط».

والدروز لا يلتزمون بشعائر الأسلام التي أشرنا اليها كما يفعل السنة

والشيعة، ولا يعلنون ما يدينون، نقول هذا مع الاحترام لعقيدتهم الدينية ولغيرتهم الانسانية واخلاقهم العالية ومع الاعتراف بشهامتهم وشجاعتهم.

ولا بد من الإشارة أن أحكام الإسلام تجري على من أقرَّ به علانية حتى من الشك والريب في صدقه وإخلاصه نظراً إلى ظاهر القول، واختلفوا فيمن نطق بالشهادتين مع العلم بكذبه ونفاقه فذهب جماعة من علماء الشيعة والسنّة إلى أنه يعامل معاملة المسلمين [1] واستدلوا بقوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تأمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ [١٤ الحجرات]. وأيضاً استدلوا بمعاشرة النبي (ص) مع المنافقين وهو العالم بما يبطنون من كفر ونفاق، وبأنه (ص) قبل الإسلام من المؤلفة قلوبهم من الطلقاء الذين قهرهم، بل أعلن أبو سفيان بصراحة تردده في الشهادة بالرسالة لمحمد (ص) وقال: أما هذه ففي النفس منها شيء، ومع ذلك قبل منه النبي (ص) هذا «الإسلام» بل ومن هند أيضاً التي قالت لزوجها: قُبحت من طليعة قوم، لا لشيء إلا لأنه أظهر الإسلام.

وفي صحيح مسلم وغيره أن النبي (ص) قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن استجابوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله. وهذا الحديث واضح الدلالة على أن النبي (ص) كان يجري أحكام الإسلام على من أظهره خوف القتل. وفي نهج البلاغة: «الإسلام اسم

---

(١) انظر كتاب مصباح النفيه للشيخ الإمامي الهمداني ص ٤٩ في القسم الأخير من المجلد الأول، وكتاب الإيمان لابن تيمية الحنبلي ص ١٤٧ و٢٤٧ وغيرهما.

سلامة» وفي أصول الكافي: «إن الإسلام الذي تجري عليه المناكح والمواريث هو شهادة أن لا إلّه إلا الله والتصديق برسول الله. وعلى ظاهره جماعة الناس ... فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان، وتجري عليه أحكام المؤمنين وهو عند الله كافر، وقد أصاب من أجرى عليه أحكام المؤمنين.

وبعد، فإن العالم المنصف إذا تتبع أي الذكر الحكيم وأحاديث الرسول العظيم وأقوال أئمة الشيعة والسنّة ـ لا يشك إطلاقاً في أن أحكام الإسلام في الحياة الدنيا تعم وتشمل جميع المسلمين سواء أكانوا من الفرقة الناجية أم الهالكة ـ جاء في حديث من الأحاديث تفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية والباقي منها في النار ـ حتى الناجية لن تنجو بقضها وقضيضها سواء كانت سنية أم شيعية، وإذن علام التعصب والتشهير والشتات والتفكير؟ وهل هو من وحي الدين أو من سموم أعداء القرآن وأهله؟ . وصلى الله على الرسول وآله الذي قال: إدرأوا الحدود بالشبهات، فإن الإمام ـ أي الحاكم ـ لأن يخطىء في العفو خير من أن يخطىء من أن يخطىء في العقوبة.

وبمناسبة الإشارة إلى حديث الـ ٧٣ فرقة ننقل عن كتاب المجازات النبوية للشريف الرضي ص ٣٠٧، هذا الحديث الشريف: «كلكم ـ الخطاب من محمد (ص) لأمته يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير» أي بُعد عن طاعته تعالى ومرضاته، ويحمل هذا الحديث صدقه في صلبه وتكوينه، لأنه يلتئم وينسجم مع بديهة العقل وصريح النقل ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [١٣ الحجرات]. .

لا إسلام بلا اجتهاد

«إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر».

تعدد المذاهب

كثيرون يطرحون هذا السؤال: لماذا الانقسام وتعدد المذاهب الإسلامية، والنبي واحد، والكتاب واحد، والقبلة واحدة، وكذلك الشريعة بأصولها وفروعها؟.

الجواب :

في كل دين من الأديان فرق ومذاهب[1] حتى الجاحدين بالله تفرقوا شيعاً وأحزاباً، فبين بكين وموسكو أبعد مما بين هذه وواشطن، علماً بأن الفريقين يدينون بالماركسية التي تقدم حلولاً جاهزة لكل المشكلات من أي نوع كانت وتكون كما يزعمون ! أما أقوال الفلاسفة وآراؤهم فلا يجمعها حد ولا رسم حتى علماء الطبيعة كثيراً ما ينفي أحدهم ما يثبته

(١) في مجلة العربي الكويتية العدد ٢٢٣ ص ٥٠ : « يتفرع عن المسيحية ٢٦٠ مذهباً».

الآخر مع أن كلاً منهما يعتمد الحس والتجربة، وكم من حزب سياسي انشق الى حزبين أو أكثر، وهيئة ثقافية إلى هيئات، ومؤتمر إلى فئات، وأسرة إلى آراء متعارضة متضاربة.

وليس في ذلك أية غرابة ما دام الإنسان لا يتخلى عن حريته في الرأي والتفكير كما يشاء، ومن المستحيل أن يفكر كل الناس بطريقة واحدة. وبعد هذا التمهيد نشير فيما يلي إلى السبب الموجب لتعدد المذاهب.

الأحكـــام الشرعيـــة

تنقسم الأحكام الشرعية إلى نوعين:

١ ـ الأحكام الثابتة ببديهة الدين وإجماع المسلمين في كل عصر وقطر منذ عهد الرسالة حتى اليوم الأخير، ولا تقبل تأويلاً ولا جدلاً واجتهاداً، كالصلوات الخمس والصوم في رمضان والزكاة والحج إلى بيت الله الحرام، وتحريم الربا والزنا والخمر والميسر والزواج بالمحارم وغير ذلك من الأحكام الضرورية والمسلمات الأولية عند المجتهد والمقلد. وهذا النوع خارج عن القصد ومحل الكلام.

النوع الثاني من الأحكام يثبت باجتهاد المتخصص الذي عناه النبي (ص) بقوله: إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر للاجتهاد بقدر الوسع. وفي الحالين يكون الحكم الذي أدى إليه اجتهاده شرعياً في حقه وحق من يأخذ عنه، لأن اجتهاده هذا انعكاس لمدلول الشريعة الإسلامية فيما يرى، وثمرة من ثمارها حتى فيما لا نص عليه بالخصوص حيث يرجع الفقيه في مثل هذه الحال إلى المبادىء العامة والقواعد الكلية المقررة في الفقه وأصوله، وإلى هذا الاجتهاد

والاستنباط أشار سبحانه بقوله ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم ـ من ذوي الملكات الراسخة ـ لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [٨٤ النساء].

ومن المعلوم عند الفقهاء أن المسائل الاجتهادية هي وحدها محل الدرس والبحث في الكتب الفقيهية والجامعات الإسلامية، لأن الأحكام البديهية لا تقبل الخصام والكلام كما أشرنا، ومن الاجتهادات الفقهية جاء الاختلاف في وجهات النظر بين المذاهب بعضها مع بعض، بل وبين فقهاء المذاهب الواحد. وخلط بعض الناس بين الخلافات السياسية والاجتهادات في الفقه الإسلامي، وعد هذه بعامة من تلك ! وهذا خطأ أو تضليل عن سوء نية.

خطــأ المجتهـــد

جاء في الحديث: إن الجاهل إذا أصاب فهو غير مأجور، وإذا أخطأ فهو غير معذور، ويقال له يوم القيامة: «هلا تعلمت» على العكس من المجتهد إذا أخطأ فإنه معفو عنه ومأجور أيضاً كما أشرنا، وما من شك أن النبي (ص) أراد ـ فيما أراد ـ من حديث العفو عن خطأ المجتهد أن يُفهم الناس على العموم والمجتهدين بالخصوص أن الاختلاف في الرجي لا يوجـــب العداوة والبغضاء، بل على المجتهد أن يحترم رأي الآخر، ويعذره في أية مسألة نظرية وإن خالف المألوف والمشهور بين الفقهاء؛ وأن يتوقع الخطأ من نفسه، ويحتمل الصواب في رأي مثيله ما دام الواقع مخبوءاً في علم الله تعالى، ولا طريق إلى الكشف عنه واليقين به، كما هو الفرض.

هذا ما يوحي به حديث المجتهد المخطىء، فهل يتعظ ويعتبر أسرى الفكر الواحد والمبدأ الواحد الذين يضعونك بين خيارين ـ لو

استطاعوا ـ إما أن تكون على دينهم ورأيهم، وإما أن يعلنوا عليك حرباً لا هوادة فيها ! علماً بأن الإيمان بأي شيء لا يكون بحال إلا بالإقناع والحرية الفكرية.

المجتهـــد

وهو المتمكن من فهم الحكم الشرعي ورده إلى أصله ومصدره، فإن كان ـ مع ذلك ـ عادلاً جاز الاعتماد على حكمه وفتواه وإلا عمل هو وحده بما صح عنده.

وقال أهل الجمود والركود: بل عليه أن يلتزم أقوال السلف الصالح، ولا يسوغ له أن يتجاوزها بحال، وإن كان أصلح الصالحين، لأن باب الاجتهاد مسدود !.

الجـــواب :

١ ـ أبداً لا فرق بين أن نمنع العالم من العمل بعلمه أو نمنع المجتهد من العمل بما صح عنده. وإذا كان العمل بالاجتهاد محرماً عند الله فهو كذلك على كل مجتهد سابقاً كان أو لاحقاً، لأن الأشياء المتمثلة تؤدي حتماً إلى نتائج متماثلة.

٢ ـ من سد باب الاجتهاد فقد اجتهد، وناقض نفسه بنفسه، لأن من امتنع عن الاختيار فقد اختار أن لا يختار.

٣ ـ إن الله سبحانه كرم الإنسان بنعمة العقل والعلم، وحثه على العمل بعلمه، فكيف يستهين بنعمة الله ويخالف أمره ؟ قال رجل لرسول الله : ما العلم ؟ قال: الإنصات . قال : ثم من ؟ قال: الحفظ. قال: ثم من ؟ قال العمل به قال: ثم من يا رسول الله ؟ قال: نشره.

٤ ـ أجمع السلف بمن فيهم أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل على أن من توافرت فيه شروط الاجتهاد يحرم عليه التقليد[١] ومعنى هذا أن عمل المجتهد بخلاف ما يرى باطل لا يقبل منه عنده وعند الأئمة الأربعة حتى ولو وافق جميع المذاهب ! . ولا أدري كيف لا يؤمن المتمكن من الفقه، بالله ورسوله إلا بدليل، ثم يخضع لقول فقيه آخر خضوعاً أعمى من غير دليل ! اللهم إلا أن يعتقد بأن الدين يقبل الخرافات والتناقضات، وأن الإيمان لا يمكن أن يعيش مع العقل بوئام وسلام ! .

وأخيراً نكرر: لا إسلام بلا فقه إسلامي، ولا فقه إسلامي بلا اجتهاد، والنتيجة الحتمية لا إسلام بلا اجتهاد . . . ومن المؤسف أن نجد أنفسنا مضطرين إلى الجدل والنقاش في مسألة بديهة وأولية . . .

---

(١) انظر كتاب القول المفيد في أدلة الإجتهاد والتقليد للشوكاني . وأيضاً فيما قرأت أن لجلال الدين السيوطي كتاباً في ذلك، اسمه الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجهاد في كل عصر فرض.

الصلاة تنهى عن الفحشاء

« من لم تنه صلاته عن الفحشاء لم تزده من الله إلا بُعداً».

وفي الآية ٤٥ من العنكبوت ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ وقد يتبادر إلى الأذهان من ظاهر الآية أن الصلاة من حيث هي تقي المصلي من الفحشاء، وتعصمه من المنكر، ومن هنا تساءل كثيرون وقالوا: لقد رأينا العديد من المصلين لا يتورعون عن شيء، فما هو وجه الجمع بين ظاهر الآية والواقع المحسوس ؟

وقبل الجواب نشير إلى الفرق بين العلة الموجبة لوجود الشيء وبين الغاية المتوخاة من أصل وجوده، فالعلة هي التي يلزم من وجودها وجود المعلول ومن عدمها عدمه، أما الغاية فلا توجد أبداً ودائماً بوجود ما قصدت منه، بل قد توجد بوجوده، وقد يوجد هو من دونها لمانعٍ أو لآخر ـ مثلاً ـ العلة الموجبة لتشريع القصاص هي العدوان، والغاية منه حماية المجتمع بقدر الإمكان، وقد تنتقض هذه الغاية ويتكرر العدوان لسبب أو لآخر، ولذا قال سبحانه ﴿ولكم في القصص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾ [١٧٩ البقرة]، ولم يقل لكي تتقوا حتماً ويقيناً.

والعلة الموجبة لتشريع الصلاة هي إرادته تعالى، وعلينا أن نمتثل على كل حال حيث لا صلة بين وجوب الصلاة وتحريم الفحشاء والمنكر، فمن صلى يسقط عنه التكليف بها وإن ارتكب منكراً، ومن انتهى عن أي منكر لا يحاسب عليه وإن ترك الصلاة، أما الغاية أو الحكمة - عبّر بما شئت - من تشريع الصلاة ووجوبها فهي تهيئة المصلي للتقوى والكف عن المنكر والخنى، وقد توجد هذه الغاية والفائدة حيث لا مانع، وقد لا توجد لسبب من الأسبابة.

والذي سأل أو أشكل بوجود المصلين المنحلين قد ذهل وغفل عن الفرق بين العلة والغاية..

الـــولايـــة

«بني الإسلام على خمسة أشياء : على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية».

في الجزء السادس من خطط الشام لكرد علي صفحة ٢٤٥ :

« عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علي (ع) في عصر رسول الله (ص) مثل سلمان الفارسي القائل: بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن أبي طالب والموالاة له، ومثل أبي سعيد الخدري الذي يقول: أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة، ولما سئل عن الأربع قال: الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج قيل: فما الواحدة التي تركوها ؟ قال: ولاية علي بن أبي طالب قيل له: وإنها لمفروضة معهن ؟ قال: نعم هي مفروضة معهن. ومثل أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وذي الشهادتين خزيمة بن ثابت وأبي أيوب الأنصاري وخالد بن سعيد بن العاص وقيس بن سعد بن عبادة وكثير أمثالهم، ومن أرادهم فليراجع كتاب الدرجات الرفيعة لابن معصوم».

وليست الولاية في عقيدة الشيعة مجرد حب ومودة ولا تقديس

وتعظيم لآل الرسول (ص) كما هي عند غيرهم، بل ومعناها أيضاً - فيما يدينون - أن كل حق ثبت لرسول الله (ص)، على المسلمين بنص هذه الآية ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ [٦ الأحزاب] فهو ثابت لعلي والأئمة المعصومين من ولده ما عدا النبوة ونزول الوحي، ومن جحد الولاية بهذا المعنى فهو مسلم غير شيعي. ومن أراد التوسع فليراجع كتاب فلسفة التوحيد والولاية، وقد طبع مؤرخاً مع كتاب معالم الفلسفة الإسلامية، ونظرات في التصوف، وفلسفة المبدأ والمعاد، وعلي والفلسفة، والإسلام بنظرة عصرية، في مجلد واحد باسم فلسفات إسلامية.

وبمناسبة الإشادة إلى علي والولاية نذكر هذه المنقبة العلية:

جاء في مجلة العربي الكويتية العدد ١٧٢ صفحة ٦٩: «يقول التنوخي صاحب الفرج بعد الشدة؛ حدثني أبي عن ابن حمدون النديم قال لي المعتضد وهو خليفة: لماذا قدم أبي وهو عليل العلة التي مات فيها وأنا في حبسه ازداد خوفي على نفسي من القتل... فقمت ليلة وأنا من الخوف على أمر عظيم، وقد صليت صلاة كثيرة، ودعوت الله عز وجل، ثم نمت؛ فرأيت في منامي كأني على شاطىء دجلة، فرأيت رجلاً جالساً على الشط، وهو يُدخل يده في الماء فيقبض فتقف دجلة، ويتزايد الماء إلى فوق يده، ويقف كالطود العظيم، ثم يخرج يده من الماء فيجري، فهالني ما رأيت، ودنوت منه وسلمت عليه وقلت له: من أنت يا عبد الله الصالح ؟. قال: أنا علي بن أبي طالب. قلت: يا أمير المؤمنين ادع لي. قال: إن هذا الأمر صائر إليك فاعتضد بالله تبارك وتعالى، واحفظني في ولدي أي في نسله العلويين الذين كانوا يؤذون من قبل بعض العباسيين - قال المعتضد - فانتبهت وكأني أسمع كلامه،

ووثقت بأني أتقلد الخلافة وقويت نفسي... وما مضى على الأمر إلا أيام يسيرة حيت صدقت الرؤ يا».

الفصل الثالث

الحيــاة الزوجيّة

حـديث النســاء

الحديث عن النساء والزواج ينعطف إليه ويتأثر به كل من الرجل والمرأة، لأن العديد من ملذات الحياة ـ ومن أبرزها الطعام والشراب بشتى أنواعه ـ يمكن أن يستقل بها الإنسان الفرد عن أي إنسان آخر، أما الشيء الآخر فهو موصول بالذكر والأنثى معاً، وبصرف النظر عن هذا الآخر فإن الحياة لا تحلو بوجه واحد وبصنف منفرد، بالعقل ـ مثلاً ـ بلا عاطفة أو بالعلم فلا فن حيث لا حب ولا جمال في الوجود مع هذا الغرض.

ومن هنا اهتم النبي وآله (ص) بهذا الجانب من الحياة بخاصة فيما يعود إلى الزوجة. فإن أحاديث النبي (ص) فيها وفيما يتصل بها تُعد بالعشرات لا بالمئات (انظر كتاب وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١٤ ـ ١٥ وغيره من كتب الحديث). ونقتصر في هذا الفصل على عرض جملة من هذه الأحاديث مع قليل من الشرح والتعليق. ولو اطلع عليها بالكامل المفكرون وأرباب الأقلام أو على القسم الأوفر

الذي سجله صاحب الوسائل في صورته الأصيلة ـ لكتبوا في هذا الموضوع العديد من المؤلفات الشيقة النافعة، ولكنهم انصرفوا الى الحديث عن حقوق المرأة في الإسلام، وأطالوا الكلام حتى في المسلمات الموروثة جيلاً بعد جيل.

حب النساء من الإيمان

«كلما ازداد العبد للنساء حباً ازداد في الإيمان
فضلًا ... من أخلاق الأنبياء حب النساء ...
قرة عيني في الصلاة، ولذتي في الدنيا النساء».

أيضاً حب الرجال من الإيمان

أيضاً كلما ازدادت المرأة حباً للرجال ازدادت خيراً وإيماناً، لأن السبب الموجب موجود فيهما معاً، والأشياء المتماثلة تؤدي إلى نتائج متماثلة، وفيما قرأت أن أعرابياً قال لزوجته يجب أن يكون كلٌّ من الزوجين على مثال الآخر تماماً كمصراعي الباب، وهل رأيت ذئبة اقترنت بأسد ؟ .

وكلمة الإيمان هنا تدل بوضوح على أن المراد بالحب حب الزواج، لأنه من صلب الدين، قال الرسول الأعظم (ص): «من كان يحب أن يتبع سنتي فإن من سنتي التزويج ... من أحب أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليلقه بزوجة ... من تزوج فقد أحرز نصف دينه، فليتقِ الله في النصف الآخر ... ركعتان يصليهما المتزوج أفضل من سبعين ركعة يصليها الأعزب... ما أحب أن لي الدنيا وما فيها؛ وأني بت ليلة وليس لي زوجة».

وهذا الربط بين الزواج والإيمان إنما هو لمجرد التلبية لنداء الجنس وغريزته والوقاية من الحرام والمعصيبة وإلا فالزواج من حيث هو ليس بواجب. أجل تكره العزوبة، بل وتحرم إذا قادت الى الحرام، ومن هنا أرسل النبي (ص) هذا النداء: «يا معشر الشباب عليكم بالباه أي الجنس. . . لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة، وليكن بينهما رسول، ولما قيل: وما الرسول قال: القبلة والكلام». وقال الإمام الصادق (ع): «ما تلذذ الناس في الدنيا والآخرة بلذة أكثر من لذة النساء، إن أهل الجنة ما يتلذذون بشيء أشهى عندهم من النكاح. . . جربت جواري بيضاء وادماء فكان فيهن بون»[1].

وهكذا يتحدث الإمام (ع) عن متعة الجنس ولذته ليشير أن هذا الحديث لا عيب فيه ولا خجل منه ما دام في حدوده الشرعية، ولماذا القيود والحدود لشيء تفرضه طبيعة الحياة تماماً كالطعام والشراب ؟ إن البأس والعيب في الفحش والفجور والعلاقات السرية التي تفسد المجتمع، وتملأه بالأوبئة وتقوده إلى الدمار، ومن أجل هذا لا يجرؤ على أعلانها أقوى الأقوياء.

وكان المسلمون يسألون النبي والأئمة عن أشياء الجنس بصراحة تامة تفقهاً في الدين وحرصـاً على طاعته والإلتزام بأحكامه.

---

(١) كتاب وسائل الشيعة باب النكاح

المـــرأة قـــلادة

«المرأة قلادة فانظر ما تتقلد، وأين تضع نفسك، ومن تشركه في مالك، وتطلعه على دينك وسرك».

قلده القلادة: جعلها في عنقه، وقد تكون حبلاً يقاد به المقلد كالحمار يؤخذ الى حمل الأثقال. وهكذا الزواج يقود الزوج إلى الأغلال وأشق الأشغال. والفرق أن أثقال الحمار قد تكون حطباً أو ذهباً، وأثقال الزوج كلها أو جلها أوباء وأدواء ! وعليه أن يبتلعها بصمت وصبر وإلا تراكمت وتفاقمت.

وتقول: ليس كل النساء سواء. ونجيب بأن العبرة بالغالب الشائع لا بالشاذ النادر. ومن أدعية الرسول الأعظم (ص): «أللهم إني أعوذ بك من ولد يكون عليّ رباً، ومن مال يكون علي ضياعاً، ومن زوجة تشيبني قبل الأوان، ومن خليل ماكر». والويل كل الويل لمن انهالت على رأسه هذه الصواعق الأربع متخالفة متعاضدة.

جمـــال الخُلق

«خير نسائكم الولود الودود العفيفة العزيزة في أهلها الذليلة مع بعلها المتبرجة مع زوجها الحصان مع غيره، تسمع قوله، وتطيع أمره، وإذا خلا بها خلعت معه درع الحياء، وبذلت له ما يريد، وإذا انفقت انفقت بمعروف، وإذا أمسكت، امسكت بمعروف فتلك من عمال الله، وعامل الله لا يخيب» . .

هـــذه الكلمـــات

هذه الكلمات وردت في أكثر من حديث، وجمعناها في كلام واحد لوحدة الهدف والموضوع، وهو اختيار الزوجة الصالحة في نفسها وخُلقها الذي لا يشيب ويهرم إذا هرمت وترهلت، أما اختيارها لجمال الخلق وحسن الشكل فهو موضوع الأحاديث التالية، وما من شك أن الإنسان يعلو كل مخلوق بصفاته من الداخل لا من الخارج، وبالرغم من هذه الحقيقة فإن لحسن الشكل والمظهر سره وأثره في شحذ القرائح وهز المشاعر وإثارتها، وبالخصوص في المرأة الشابة.

الزوجة الصالحة روح وريحـــان

الإنسان ابن الأرض، منها خُلق، وإليها يعود، وبها يشبه، والأرض منها الخبيث والطيب، وكذلك الناس فيهم الأشرار والأخيار، وخير النساء هي التي تمتاز بالخصائص التالية :

١ ـ «الولود» العقم نقص في الرجل والمرأة، لأن الصلة بين الزوجين لا ولن تتوطد إلا بوجود صغار «يرفرفون ويغردون». وفي كتاب «كيف يحيا الإنسان»: «المرأة هي الزوجة والأم في آن واحد، وإذا لم تكن أماً تتحول إلى مجرد لعبته ودمية، لأنها ـ وهذه هي الحال ـ ليست أكثر من جنس». وبعض الأديان تحرم الطلاق والفراق إلا لعقم أو زنا.

٢ ـ «الودود» وهي التي تحب زوجها لا من أجل أنه يكفيها ويغنيها، بل تحبه اعتقاداً وتديناً بأن الزوج يجب أن يحب لا لشيء إلا لأنه زوج وكفى.

٣ ـ «العفيفة» وهي تتحكم في غريزتها الجنسية، وتعتصم بالطهر والنزاهة من الفحش والفجور، وغير العفيفة هي الجيفة المباحة لنهش الكلاب والذئاب، ومن ألقابها الساقطة حيث لا حرمة لها، والعائبة حيث لا تستنكف عن العيب، والخائنة لأنها غير أمينة على كرامتها، والفاحشة لإقدامها على الفحش بلا حياء، والعاهرة لأنها تعرض سوأتها للوالغين، والفاجرة حيث تتفجر منها القبائح والرذائل.

وليت الذين يعتذرون عنها ويبررون صنعها درسوا أولاً: هل هي أحوج من التي تعلمت مهنةً أو عملت في محل ؟ ثم بمَ يعتذرون عن المتزوجات الثريات اللاتي يفحشن في الخفاء ويفجرن في السر ؟

٤ ـ «العزيزة في أهلها» فتظهر أمامهم ـ إذا اقتضى الأمر ـ العزة والغنى بالله وبزوجها وعدم الحاجة إلى أهلها وغيرهم. وعلى كل امرأة

تفتخر على بعلها وشريك حياتها أن ترتدع وتنتهي متعظة بهذا الدرس البليغ «المتبرجة مع زوجها». أبداً لا حجاب ولا شيء يعاب منها إليه، وبعبارة الحديث الشريف: «خلعت معه درع الحياء، وبذلت ما يريد». ومتى احتاج هذا الى بيان لولا أن بعضهن حصان على زوجها غنمة على غيره؟.

٥ ـ «الحصان على غيره» هذي هي الشريفة العفيفة: صعبة وشموس إلا على حلالها ووالد أطفالها، على عكس المومس التي لا ترد لامس! وكم من بيوت دمرت وأسرٍ بددت وصغار شردت هذه الرخوة المائعة.

٦ ـ «وإذا أنفقت، أنفقت بمعروف، وإذا أمسكت، أمسكت بمعروف». إن كان الزوج معسر ا قنعت بالميسور، ولا ترهق بطلب المعسور، وإن يك غنياً أنفقت أو أمسكت في حدود الاعتدال. (انظر فقرة التدبير والتبذير في هذا الكتاب).

ومتى توافرت هذه الصفات في الزوجة فهي «من عمال الله، وعامل الله لا يخيب». ومعنى هذا أن المرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح، وأيضاً معناه أن العبرة بالعمل لا بالذكورة والأنوثة: ﴿اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾ [١٩٥ آل عمران]... ﴿وضرب الله مثلاً امرأة فرعون ... ومريم التي أحصنت فرجها﴾ [١٢ التحريم]..

وبعد، فإن هذه النصوص وأمثالها هي تعبير عن واقع إنساني وفطري، وليس للإسلام منها أي أثر إلا الدلالة على هذا الواقع والحكاية عنه، لأن كل الناس يشعرون به تلقائياً حتى أشدهم استهتاراً بالأديان وإلحاداً بها. وهكذا دين الحياة ينطق بمبادئها وقواعدها. ويأتي المزيد من البيان.

جمـــال الخَلـــق

«من أراد الزواج فليطلب أصبحهن وجهاً، وأحسنهن شعراً، فإن الشعر أحد الجمالين، ومن الخير أن تكون الزوجة بكراً وطيبة الريح وبيضاء أو سمراء عيناء ومربوعة لا طويلة هزيلة ولا قصيرة دميمة، ودعوا السوداء والعجوز المدبرة وكل امرأة وُلدت في منبت سوء، وإن تك من حسان الوجوه».

أيضاً هذه الكلمات وردت في أكثر من حديث، وجمعنا بينها لوحدة الموضوع والهدف كالفقرة السابقة.

وكل إنسان حتى البدائي يحب الجمال بالطبع والفطرة، بل في كتاب الإنسان ذلك المجهول: «إن الأبلد والمجنون قادران على الانتاج الفني، فإيقاظ الإحساس بالجمال ضرورة أولية بطبيعة الناس». أما قول الرسول (ص): «من تزوج امرأة لجمالها لم يجد فيها ما يحب» **فهو** نهي عن الزواج من أجل الجمال وحده دون أي اعتبار للدين والأخلاق، ولذا عقب بقوله بلا فاصل: «فعليكم بذات الدين والأخلاق».

ولا بد من الإشارة إلى أن أحاديث الأنبياء والأئمة عن الدميمة والجميلة والقصيرة والطويلة والبيضاء والسمراء وعن حسن الوجه والشعر - إنما هي لمجرد النصح والإرشاد إلى المرأة التي تشبع رغبات الزوج روحاً وجسداً، والقصد الأول من هذا النصح أن تستمر الحياة الزوجية بسلام ووئام، لأن الحياة السعيدة الهادئة لكل الناس هي الغاية من الإسلام وشريعته. وصدق الله العلي العظيم: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [١٠٧ الأنبياء].

ونقف قليلاً مع هذا الحديث: «تخيروا لنطفكم، فإن العرق نزّاع أي جذاب وفي رواية ثانية: الخال أحد الضجيعين. وفي الآية ٢٨ مريم ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك أمر أسوء وما كانت أمك بغيا﴾. وفي هذه الآية الإيماء إلى أن البنت تشبه الأم طهراً وعهراً، وفي الأمثال: لا تلد الحية إلا حية. وفي نهج البلاغة: «ما طاب سقيه طاب غرسه، وحلت ثمرته، وما خبث سقيه خبث غرسه، وأمرت ثمرته». وأبعد من كل بعيد أن لا يشبه الولد من يلده في شيء من خَلقه وخُلقه.

محاس الزوج ومساوئه

«إذا أنكح أحدكم وليدة فقد أرقها، فلينظر لمن يرق. زوجوا العفيف التقي النقي السمح الكفين السليم الطرفين البر بالوالدين، ولا يلجىء عياله إلى غيره. ولا تزوجوا سيء الخلق وشارب الخمر ولا البهات البخيل الفحاش الأكل وحده الضارب أهله الملجيء إلى غيره العاق والديه».

الطرفان: الفرج واللسان، والبهات: المفتري على الأبرياء وجهاً بوجه.

وفي حديث آخر: «المؤمن كفؤ المؤمنة، والمسلمون تتكافأ دماؤهم وفروجهم». أبداً لا عنصرية ولا طبقية وفوارق اجتماعية أو اقتصادية في رسالة محمد (ص). وقد بدأ بنفسه ممارسة هذا المبدأ كما هو شأن القائد الراشد الذي يلتزم بأقواله قبل أن يُلزم بها الأصحاب والأتباع، فقد أعتق مولاته صفية بنت حي اليهودي ثم تزوجها. وزوج المقداد بن الأسود ضباعة بنت عمه الزبير بن عبد المطلب، وزوج مولاه زيد بن ثابت بنت عمته زينب بنت جحش.

ولكن أكثر النسوة في كل زمان تختار الزوج الذي يحقق لها العيش في دعة، وما عدا ذلك فليس بالمهم إلا أن يكون مع اليسار مكانة وسمعة فذاك المثل الأعلى. والشرع لا يأبى ذلك، بل جاء في الحديث: «الزوج الكفؤ أن يكون عفيفاً وعنده يسار» والمرأة العاقلة لا تهدف من الزواج محض المال أو الجاه، بل تقصد الدين والخلق الكريم أيضاً كيلا تنتهي إلى ما تكره تماماً كالذي تزوج لمجرد المال والجمال.

وبالإجمال فإن المرأة تُطلب للشكل والمحتوى معاً، لأنها من معدن الفن ومظهره، والشيء الأهم في الرجل المضمون: الرجولة والفضيلة، ومن أجل هذا ذكر النبي (ص) جمال المرأة خَلقاً وخُلقاً، واقتصر على دين الرجل وخُلقه بهذا التعبير الوجيز البليغ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير». لأن الشر والفساد ينبعان في الغالب من شهوة الفرج والبطن، ويأتي المزيد من البيان.

لا ولاية على البالغة الراشدة

أبداً لا سلطان وولاية للأب أو الجد على الولد البالغ الراشد في الزواج وغيره، بالاتفاق. وأيضاً اتفق فقهاء الشيعة على أن الثيب البالغة الرشيدة تملك نفسها، وتتزوج من تريد تماماً كالبالغ الراشد. وقال بعضهم: إن البنت البكر لا تتزوج إلا بإذن أبيها حتى ولو كانت كبيرة راشدة!

ونحن مع الأكثرية[1] الغالبة القائلة بأن من بلغ راشداً فلا ولاية

---

(١) قال صاحب المسالك: اختيار سقوط الولاية عنها رأساً جميع الفقهاء المتأخرين وجماعة من المتقدمين، منهم الشيخ في التبيان والمرتضى وابن الجنيد والمفيد وسلار وابن إدريس. وأيضاً قال صاحب الجواهر: لا ورية لأحد عليها إجماعاً محكياً وشهرة محكية ومحصلة بين القدماء والمتأخرين.

لأحد عليه ذكراً أو أنثى بكراً كانت أو ثيباً، للأصل العملي والاطلاق اللفظي مثل ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ [٣ النساء]. ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ [٢٤ النساء]. ﴿أوفوا بالعقود﴾ [١ المائدة]. وغير ذلك.

وإن قال قائل: ماذا تصنع بالرواية الناطقة بأن البنت البكر التي لها أب تتزوج بإذن أبيها ؟ نقول في جوابه: وأنت ماذا تصنع بالرواية القائلة: لا بأس بتزويج البكر إذا رضيت بغير إذن أبيها ؟. وحاول بعضهم أن يوّفق بين الرواية المثبتة والرواية النافية، بالتشريك والجمع بين إذن البكر وإذن أبيها.

والأقرب ـ في رأينا ـ حمل ولاية الأب على الندب، ويؤيد ذلك قول الإمام الصادق (ع): «الذي بيده عقدة النكاح هو الأب والأخ» وما من شك أن المراد هنا الاستحباب حيث لا ولاية للأخ بالاتفاق. وكذلك سائر الروايات. أيضاً قال الإمام: «أبوها أنظر لها» كما في الوسائل، ومعنى أنظر: أعرف بمصلحتها، وهذا التعليل يعم الثيب أيضاً فكيف سلمت من الولاية؟ ثم إن البكر قد تكون أعقل وأعلم بالمصلحة من الأب.

وأخيراً هذه الحكاية: جاءت بكر إلى النبي (ص) وقالت: ان أبي يريد أن يزوجني من ابن أخيه وأناله كارهة. قال النبي (ص) لها: أجيزي ما يصنع أبوك. فقالت: لا رغبة لي في صنعه. قال: اذهبي وتزوجي من شئت. فقالت: لا رغبة لي عما صنع أبي ويصنع، ولكن أردت أن أعلم الآباء أن ليس لهم من أمور بناتهم شيء.

وهذا الحديث مدوّن في كتب السنّة والشيعة، ونصه لا يقبل قيداً ولا تأويلاً، وإذن لماذا نستخدم علمنا وقدرتنا في صرفه وانحرافه عن

ظاهره لا لشيء إلا لنوفّق بينه وبين نص آخر يناقض الحرية ! . ولماذا هذا التمحل ؟ أليس الإسلام دين الحياة والحرية ؟ وهكذا نسيء إلى الإسلام من حيث نريد له الخير والانتشار تماماً كمن يؤيد حكم العقل بمنطق الجهل !

الزواج والفقر

«من ترك الزواج مخافة الفقر فليس منا. . . من ترك الزواج مخافة العيلة فقد أساء الظن بالله»

لا سؤال وأشكال حول هذا الحديث ، لأن المقصود بالذم هنا ليس العزوبة وترك الزواج من حيث هو، وإنما المقصود بالنفي من الإسلام والمسلمين هو الذي يترك الزواج يائساً من رحمة الله وأنه تعالى لا يكفي المتزوج ويُعينه! والقرآن الكريم يعلن بوضوح : ﴿ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليهم﴾[٣٢ النور]. ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [٨٧ يوسف]. ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾[٥٦ الحجر].

ولكن هناك أحاديث تدل بظاهرها أن الزواج يدر الرزق ! منها «اتخذ والأهل فانه أرزق لكم» وشكا رجل الحاجة إلى رسول الله (ص) فقال له : تزوج. وهنا سؤال يطرح نفسه وهو كيف يطلب من العاجز عن قوت نفسه أن ينفق على غيره؟ وأي عاقل ينشد الغنى من ذي فاقة والقوة من مستضعف واهن؟.

الجواب:

١ ـ ان سبل العيش وأبواب الرزق لا تحصى كثرة ومن الجائز والقريب جداً أن الله سبحانه يُسَهِّل بعض هذه السبل او يبارك فيها للمتزوج دون الأعزب لحكمة أو لأخرى، وقد شاهدنا بالحس والعيان العديد من الذين تزوجوا فقراء فأغناهم الله من فضله.

٢ ـ إن الأعزب يتحرك بحرية، ويتصرف في وقته وحياته كيف يشاء حيث في سبيل الأهل والعيال، وليس شك في أن السعي والعمل في الأرض من أساب الرزق بنص القرآن﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾[١٥ الملك]. وفي الأمثال: من سعى رعى، ومن نام رأى الأحلام.

٣ ـ لقد حث النبي(ص)الأغنياء والفقراء على الزواج،وما خص الفقراء بالترغيب فيه، لأن السبب الموجب هو خوف الوقوع في الفتنة وانتشار الفساد في الأرض، قال، عليه وعلى آله أفضل الصلوات: «من كان ذا طول فليتزوج... من استطاع منكم الباه فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لا فليصم، فإن الصوم وجاء» والطول: الغني، والباه: الجنس، والوجاء: رضي الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته.

وما من شك أن الزنا من أمهات الرذائل؛ وأخطر المخاطر على المجتمع، فهو يحول المرأة الزانية الى جيفة ينهشها كل فاسق وآبق، ويحول الزاني إلى لص يستلب عفاف المرأة وشرفها، وهي أيضا بدورها تستلب عقله وارادته وكرامته. وفي الحديث: «لا زني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» لأن شرب الخمر صريع السكرات والزاني أسير الشهوات، فمن أين يأتي الدين والإيمان

والعقل والوجدان؟ على أن البغاء أشد خطراً من الخمر ولْاكثر فساداً. ولذا قال الرسول الأعظم (ص) : روجوا أهل الدين والأخلاق إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد وكبير وسبق الحديث.

وكم قرأنا وسمعنا عن قيام المومسات الجميلات بدور البوليس السري باسم السكرتيرات وما أشبه، وأيضاً قرأنا الكثير عن نفوذهن عند الحاكمين والمسؤولين، وهل من شيء أكثر شراً وضراً من أن تكون المومس هي الشافع والقائل المصدق عند أولي الأمر؟

زواج الأقارب

«لا تنكحوا القرابة القريبة، فإن الولد يخلق ضاوياً»

ضاوياً: هزيلاً.

وكل إنسان يدرك بالحس والوجدان أنه يرث التقاليد والمعتقدات تلقائياً عن الآباء والأجداد حتى كأنها ولدت معه، وقال أهل الخبرة: أيضاً ينتقل العديد من صفات الوالدين والأجداد الخلقية كالحسن والقبح والخُلقية كالشجاعة والكرم. وأيضاً قالوا: إن الدم إذا تكرر وتضخم بالوارثة يُفسد الروح والجسم «وقد دلت الإحصاءات أن عشرة بالمئة من الخرس والطرشان، وخمسة بالمئة من العميان ، وخمسة عشر بالمئة من البلهاء- كانوا نتيجة الزواج بالقريبات، وبالخصوص أبناء العمومة والخؤولة - أي القرابة القريبة كما قال الرسول (ص) - ولا يصلح ما فسد بسبب الوراثة إلا أن تمر أنسال ثلاثة».

ويومىء قول الرسول الأعظم (ص) : «القرابة القريبة» إلى أن الزواج من بنات الأسرة لا يوجب أية صفة رديئة في النسل إذا ابُعدت القرابة كما لو كان بين الزوجين ثلاثة أجداد أو تزيد.

وأخيراً هذه الحكاية نقلها صاحب العقد الفريد في الجزء الثالث

عن الأصمعي : أن اعرابياً طويل القامة دميم الخلقة تزوج امرأة جميلة الخلقة قصيرة القامة [1] أراد بذلك أن ينجب أولاداً بطوله وجمال أمهم، فإذا بهم يولدون قصاراً كأمهم ودميمين كأبيهم.

فما هو السر لهذه الظاهرة؟ ولماذا لم يأت الولد مربوعاً أو قصيراً وجميلاً كأمه أو طويلاً ودميماً أبيه لأن ذلكِ أليق وألصق بنظام الوراثة؟ أراد العبد الضعيف أن يتحكم بالخلق من دون الخلق فآب بالسهم الأخيب ونعوذ بالله من سوء المآب

---

(١) تزوج أحد الظرفاء امرأة قصيرة، وحين سئل عن السبب الموجب لأختيارها قال: الضرورة تقدر بقدرها.

الزوجة المثالية

«جهاد المرأة حسن التبعل. . . ثلاث نساء يرفع الله عنهن عذاب القبر، ويحشرن مع فاطمة الزهراء(ع) : امرأةصبرت على عسر زوجها، وامرأة صبرت على سوء خلقه، وأمرأة وهبت له صداقها. . .ما أفاد عبد فائدة خيراً من زوجة صالحة إذا رآها سرته، وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وفي ماله. . . المرأة الصالحة خير من الذهب والفضة».

ان دور المرأة في هذا الحياة متكافىء مع دور الرجل، ولا تقل عنه مثقال ذرة ثواباً عند الله وجهاداً في ميدان الحياة، وإن اختلف لون الجهاد ونوع الأثر حيث يؤدي كلٌ ما عليه في المجال الذي يناسبه، والمجال الاساسي والأهم للمرأة هو«حسن التبعل» لأن البيت قوام الشعب والمجتمع والزوجة الأم قوام البيت ، ما في ذلك ريب، وكلمة «حسن التبعل» على صغرها واسعة الدلالة حيث تعم وتشمل كل صفة من صفات الزوجة المثالية ، ومن هذه الصفات أن تتعاون مع الزوج تعاوناً

يهدف إلى خير الأسرة بالكامل، وأن لا تخلق أية مشكلة منزلية أو غير منزلية، وأن تبتعد عن تواقه القيل والقال واجترار الأحاداث المملة، وأن ترضى منه باليسير ولا ترهقه بطلب الكثير، وأن تقبل عذره وتغفر ذنبه، أما عفافها فهو الركن الركين. وسبقت اليه الإشارة.

وبعد، فأية امرأة توافرت فيها هذه الصفات فهي في الدنيا أغلى من الذهب وفي الآخرة مع سيدة نساء العالمين(ع) وأي تقديس وتكريم أعز من هذا وأجل؟ وتسأل: هل لهذه الزوجة المثالية من وجود في هذا العصر؟. الجواب: وهل من أحد أحاط علماً بكل الناس سوى إله الناس؟

أجل، وُجد في كل العصور أوجلها شابات جميلات مات أزواجهن وتركوا لهن صغاراً. وكان البعض منهن ترفضن الزواج من كل خاطب وراغب كائناً من كان[1] وتحبس نفسها على الاطفال، وتخدم الناس في هذا البيت أو ذاك المحل، وتصبر على المشاق والهوان من أجل لقمة الأيتام وتعليمهم حتى بنت لهم مستقبلاً كريماً، وكان منهم العديد من الأبطال المجاهدين والمصلحين في شتى الميادين. وما من شك أن هذه الأرملة المربية الكادحة هي خير عند الله من تلك الزوجة المثالية على مالها من فضل. وإليك هذا الحديث الذي ذكره الغزالي في الجزء الثاني من إحياء العلوم بعنوان حقوق الزوجة:

قال رسول الله (ص) : «حرم الله على كل آدمي الجنة يدخلها قبلي، غير أني انظر عن يميني فإذا امرأة تبادرني إلى باب الجنة.

---

(١) خطب النبي (ص) أم هاني بنت عمه أبي طالب فقالت: يا رسول الله إني مصبية في حجري أيتام ولا تصلح لك إلا امرأة فارغة.

فأقول: مالهذة تبادرني؟ فيقال لي هذه امرأة كانت حسناء جميلة، وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ أمرهن فشكر الله لها ذلك».

ومعنى المبادرة المسابقة. ولا أحد في الكون يقف أو يخطو مع سيد الكونين (ص) ولكنه أراد بهذا الحديث ـ على فرض الثقة بسنده ـ أن خصال الخير لا تختص بالذكر دون الأنثى، وأنها تسابق الرجل العظيم تزاحمه في شرق المنزلة وعلو المكانة عند الله سبحانه، إن سلكت طريق المكارم والفضائل.

خــلاعة وشنـاعة

«يظهر في آخر الزمان، وهو شر الأزمنة، نسوة كاشفات عاريات متبرجات، من الدين خارجات، في الفتن داخـلات، مائـلات إلى الشهوات، مسرعات إلى اللذات، مستحلات المحرمات، في جهنم خالدات... أية امرأة تطيبت وخرجت من بيتها فهي تُلعن حتى ترجع إلى بيتها.... إذا خرجت المرأة من باب دارها متزينة متعـطرة والزوج بذلك راضٍ، يُبنى له بكل قدم بيت في النار.... إذا ماتت المرأة البارزة - أي السافرة - وسجيت في قبرها، وسوي عليها اللبن والتراب لئلا يطلع على حجمها، تقول الملائكة: حين كانت مشتهاة ما سترتموها، والآن حين صارت منفرة سترتموها».

معجـزات محمـد

البراهين الدالة على نبوة محمد (ص) لا تُحصى كثرة، منها صفاته

وحياته، ومنها تعاليمه ورسالته، ومنها إخباره بالعديد من المغيبات حيث لا شيء يؤميء إليها من بعيد أو قريب، وصدق بعضها وتحقق قبل أن ينتقل الى الرفيق الأعلى، كالذي حدث في وقعة بدر وعودته إلى مكة المكرمة وغير ذلك، وبعضها حدث من بعده كانتشار الاسلام والمسلمين في شرق الأرض وغربها. وقصة أبي ذر مع عثمان وعمار بن ياسر مع الفئة الباغية وسيد الشهداء ومجزرة كربلاء وقوله لعلي: تقال بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين[1] والناكثون: أصحاب الجمل، والقاسطون معاوية وأهل الشام، والمارقون: الخوارج.

وذكر في كتاب على والقرآن نبوءات خاتم النبيين وآله (ص) عن نفط العرب والراديو والتلفاز وسرعة المواصلات وغير ذلك. وراج هذا الكتاب القرآني العلوي وطبع مرات. وأخيراً نشرته دار التعارف مع عشرة كتب من مؤلفاتي في مجلد واحد باسم عقليات إسلامية.

نسوة آخر الزمان

وأيضاً أخبر النبي وآله الأطهار (ع) عن نسوة آخر الزمان، خلعن العذار، وارتدين الشنار، وسر هذه الإباحة والوقاحة هو الخروج عن الدين والدخول في الفتن كما في الحديث، ولا معنى للخروج من الدين إلا فقر النفس وخلوها من كل زاجر ورادع. والحياة من أقوى الزواجر عن القبائح والرذائل، وفي الحديث: لا إيمان لمن لا دين له. . . من نُزع منه الحياة لا تلقاه إلا خائباً، ولذا قال جميع الأنبياء: «إذا لم تستح

(١) انظر الجزء الثاني من فضائل في الصحاح استتة ص ٣٥٨ صبعة سنة ١٣٨٤هـ، تجد هذا الحديث منقولاً عن مستدرك الصحيحين وتاريخ بغداد وكنز العمل وأسد الغابة وتفسير الدار المنثور وغير ذلك.

فاصنعت ما شئت» وقد صنعت وفعلت بعض الآنسات والسيدات ماشاءت من الكشف عن السيقان والصدور والأكتاف والشعور بلا خجل ووجل تماماً كأية سلعة تعرض علناً للدعاية!

ومعنى الدخول في الفتن: اتباع الشهوات وارتكاب المحرمات والنهم بالملذات كما في الحديث. أما حزاء الخالعة المتبذلة فالخزي واللعن في الدنيا، وفي الآخرة عذاب الحريق لها ولكل راضٍ بفعلها زوجاً كان أو عابر سبيل. ونحن لا نشك في أن الكثير من سيئات الفرد تأتي من خلال البيئة والمجتمع، ومه هذا نعتقد بأن للإنسان الفرد حريته الكاملة في أن يقبل أو يرفض العديد من القضايا وإلا فلا شرعية ومسؤولية، وهل من أحد يشك أن مئات المصلحين والمفسدين تحكموا في مصير الملايين؟.

السفور الشَعري:

وتسأل : ما من شك أن الخليعة المتهتكة تستحق اللعنة وزيادة لأنها هي التي انتهكت حرمة نفسها، ونزعب بيدها الستر المضروب عليها، فهل المهذبه الرزينة السافرة عن الشعور والوجه والكفين فقط ودون أية غواية وإثارة من قبلها، هل هذه الشريفة العفيفة هي تلك الحيوانة «السعدانة»بمنزلة سواء؟

الجواب:

١ ـ إن الخليعة أشد إثماً، لأنها أشنع فعلاً وأسوأ أثراً، ما في ذلك ريب، ومع هذا ثبت في النص المحكم الذي لا يقبل الاجتهاد والتأويل، وأجمعت المذاهب الاسلامية بالكامل، أن المرأة لا يسوغ لها بحال أن تكشف عن شعرها إلا أمام امرأة مثلها أو رجل من محارمها،

ولها أن تكشف عن الوجه والكفين أمام الأجانب، وفي بعض النصوص عطفُ القدمين على الكفين . وهذا هو السفور الشرعي، ونحن عبيد النص إلا أن يتعارض معناه الظاهر مع العقل بحيث يراه محالاً في ذاته تماماً كاجتماع النقيضين، وعندئذ نقول: هذا الظاهر غير مراد للشارع العليم الحكيم، ونلجأ إلى التأويل بما يتفق مع العقل، شريطة المحافظة على قوانين اللغة والقواعد العربية، ومع العجز نفوض الأمر الى الله تعالى في علمه. ولا شيء من ذلك في الحجاب الشرعي، وأيضاً لا عسر فيه ولا حرج، بل كل الشر والفساد في هذا السفور الزائغ الشائع، وحين كانت زينة المسلمات في حجاب إلا عن الزوج كان الاسلام والمسلمون في عزة ومناعة.

٢ ـ ان الشعر زينة بلا ريب، والزينة المبتذلة المكشوفة تثير مشاعر الفحول، وكثيراً ما تسري العدوى، وتتابع الأهواء وتتفاعل الى الفصل الأخير كما قال شوقي: نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

وخشية الوقوع في الأخطاء الجنسية أخذ الإسم الحيطة وسد الباب بالحجاب الشرعي. وفي الحديث: «من رعى حول الحمى أوشك أن يواقعه. . . النظر سهم مسموم من سهام إبليس ، وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة ـ أي بسوء عاقبتها ـ . . . أول نظرة لك، والثانية عليك، والثالثة فيها الهلاك. . . والنظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة. . . زنا العين النظر، وزنا الفم القبلة وزنا اليد اللمس» وفي أشعار الفقهاء: «الإذن في الشيء إذن في لوازمه».

البغاء قنبلة ذرية

قرأت في أخبار اليوم المصرية تاريخ ٣٠ / ٥ / ١٩٧٠ ص ١٢ :

«أكثر من نصف الزوجات الأمركيات خائنات لأزواجهن، وأغلبهن

يعترفن بذلك بلا خجل بل ويفتخرن به. . . وقال مدير معهد الأبحاث الجنسية التابع لجامعة إنديانا: «إن هذا النوع من الجنس يمكن أن يؤدي إلى الدمار كقوة الذرة. . . ان ثمرة الجنس لا تكون خيراً إلا من نطاق الرباط المقدس وهو الزواج» ولا عذر لخيانة المتزوجة ما دام الزوج قائماً بحاجاتها حتى عند الذين أعفوا غيرها من كل عقوبة.

وأيضاً في جريدة الأخبار المصرية تاريخ ٩ / ٦ / ١٩٧٣ ص ٩: «كتب برناردشو في مسرحية « مهنة مسز وارن» وقال فيها: انتشر البغاء في بريطانيا ، وشمل العالم الرأسمالي بأسره. . . وأصبحت صناعة البغاء تحتكر تماماً كصناعة النحاس واحتكار أسواق الفحم والحديد».

ولهذه النتيجة مقدماتها الإعدادية: من السفور إلى التعرية والخلاعة، ومنها إلى العلاقات السرية ومنها إلى أعارة الزوجات وتبادلها، إلى عرض الأجسام العارية في الواجهات العامة كما هي الحال في مدينة هامبورغ بالمانيا الغربية وما أدراك أن تسري عدوى هذا الداء الوبيل إلى بلادنا غداً وبعد غد تماماً كما سرت الخلاعة والخنفسة وغيرها من التيارات المادية والإلحادية.

شعر ولحم

بعد كتابة ما تقدم قرأت في النهار العربي والدولي تاريخ ١٥ ـ ١٠ ـ ١٩٧٩ ص ٢١ كلمة بعنوان «٢١ دولة تتنافس على تزيين الأنثى» قال كاتبها فيما قال: مزينو القارات الخمس اجتمعوا في باريس لحضور مهرجان الحلاقين العالمين، يتنافسون على تقديم المرأة كأداة لتحقيق موهبة الحلاق الماهر ، المرأة شعر، المرأة جسد، المرأة رحم!.

ثم شرع كل حلاق يسرح شعر امرأة ويزوقه ونقش لحمها ويزخرفه، وبعد هذه العملية المنقشية عُرضت النساء المنقوشات على الحكم والجمهور، فكان الفائز الأول الحلاق الاميركي، والثاني اللبناني والثالث الفنزويلي!. هذا هو الكمال في السعادة عند بعض النسوة في العصر الراهن: أن تكون المرأة دمية مصنوعة تطمح اليها أبصار الفحول وعليها تتصاول!. وكفى بذلك استيعاباً واستكمالاً للرجس والخزي.

الماشطة

وفي كتب الفقه الاسلامي بحث خاص بعنوان الماشطة وأجرتها، والمراد بها المرأة التي تزين العروس حين تزف إلى زوجها، ولا بأس في ذلك عملاً وأجرة، ولكن يكره أن تشترط الماشطة الأجرة، والأليق أن ترضى بما تُعطى ولا تطلب المزيد، وفي الحديث: إن ماشطة تُدعى أم عطية دخلت على رسول الله (ص) فقال لها: هل تركت عملك أو أقمت عليه؟ قال: يا رسول الله أنا أعمله الا أن تنهاني عنه فأنتهي. قال افعلي فاذا مشطت فلا تجلي الوجه بالخرقة فإنها تذهب بمائه.

صلوات الله عليك وعلى آلك يا سيد الكونين حتى هذه الصغيرة الخفية بلغتها ولم تنسها... وأي بدع فهو كما وصفه الله رحمة للعالمين أجمعين حتى الأعداء فكيف بالأولياء ﴿حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم﴾[١٢٨ التوبة]. إضافة الى نصحه ورغبته في أن يُتقن المرء كل عمل يتصدى له ايا كان نوعه، ومن أحاديثه (ص): «ان الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه».

وسكت الفقهاء القدامى عن تزيين الرجال للمرأة وحكمة. لأن هذا الغرض كان أشبه بفرض المحال آنذاك، ومن فضول القول الإشارة إلى أنه من أسوأ السيئات وأعظم الجنايات إلا أن يكون الزوج هو المزين..

الحقوق متبادلة

«خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي»

ولا بدع أن يكون محمد (ص) أرحم الناس بالنسوان والصبيان والحيوان ما دام رحمة مهداة للعالمين، وإنما التساؤل حول قوله: «خيركم خيركم لنسائه»: هل هو على عمومه وإطلاقه؟ كيف؟ وهل من الخير في شيء أن تقُدم باقة ورد لمن قذفك بحجروأن تُسمع سجع البلابل لمن أسمعك عواء الذئاب والكلاب؟ وأي إنسان يحب من أساء اليه، ويسمع الإهانة ولا يشعر بها؟ وبعض النسوة تهين زوجها عن قصد، وترميه بوابل من السهام نابحة عاوية!.

وأيضاً قد يحب الرجل زوجته إلى حد العبادة ولكنه عبء على جاره وشر على عباد الله، فهل هو ـ وهذي حاله ـ خير الناس لا لشيء إلا لأنه خير لنسائه! كيف والرسول (ص) يقول: «من ضيع حق جاره فليس منا.. خير الناس أنفع الناس للناس»؟ لا لنسائه فقط لا غير. وإذن فظاهر الكلام غيرمراد، وإن القصد منه مجرد التوكيد والحرص على حق الزوجة تماما كقوله (ص): «ملعون من ضيع من يعول».

وأخيراً، فان حقوق الزوجين متبادلة بينهما، ومن حقها عليه أن

يشبع بطنها، ويكسو جنبها، ويكف الأذى عنها حتى هذه النفقة تسقط عنه، إن هي أساءت وتمردت، وما من أحد يتخلى عن كرامته، فيحترم من أهانه، ويبارك من لعنه. والله سبحانه يقول ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾[٤٠ الشورى].

استبقوا الخيرات

«حسن معاشرة إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته وابتاعها الموافقة يعدل كل ما ذكرت».

« دخلت على النبي (ص) امرأة من الأنصار، وهو جالس بين أصحابه وقالت: أنا يا رسول الله موفدة إليك من قبل النساء. فقال: وماذا تريد النساء؟ قالت «ان الله بعثك الى الرجال والنساء. فآمنا بك واتبعناك.. ونحن معشر النساء محصورات مفصولات قواعد بيوتكم وحاملات اولادكم.. وانتم معشر الرجال فضلتهم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج.. وافضل من ذلك كله الجهاد في سبيل الله.. وان الرجال منكم اذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً.. حفظنا لكم اموالكم.. وغزلنا لكم اثوابكم.. وربينا لكم اولادكم. افما نشارككم في هذا الخير يا رسول الله.

والتفت الرسول الى اصحابه قائلا:

- هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه.

- لا يارسول الله.

فقال الرسول لاسماء

انصرفي يا اسماء.. واعلمي معاشرة احداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ذكرت.

وانصرفت اسماء بنت يزيد.. وملء قلبها طمانينة الرضا.. وعلى ثغرها ابتسامة البشرى.

هل قرأت تعيسات هذا العصر تلك القصة.

أنها على كل حال ليست مطالبة بالمساواة.. وليست تعاسة أو كفرانا.. ولكنها سباق حيوي على الخير.. ومعرفة صحيحة لطريق السعادة.. سعادة البيت والمجتمع.

ان البيت هو مملكة المرأة.. وعليها أن تملأ هذه المملكة حركة وحياة.. وعندئذ فلن تجد نفسها في سجن.. بل ستشعر أنها في عالم يتجاول حدود الزمان والمكان.

فلتجرب التعسات.. والحقيقة دائما بنت التجربة»[1]

وتسأل: لماذا يجب على الزوجة متابعة الزوج دون العكس أو لا تابع ولا متبوع، بل مساواة وشوري بين الطرفين؟.

الجواب:

إذا اختلف الزوجان في الشؤون الخاصة التي تتكرر في كل بيت وفي كل يوم أو شهر، وأصر كل منهما على رأيه ـ فمن هو المرجع والحكم الفصل؟ وهل على وجه الأرضو محكمة تفصل بين الميول

(١) من جريدة الجمهورية المصرية ١٨ ايلول سنة ١٩٧٠ ص ٥.

والأذواق؟. أبداً لا تستقيم حياة الأسرة بحال إلا أن تكون السلطة والكلمة الأخيرة لرب البيت الذي يتحمل التبعات والمسؤوليات.

وفي مجلة عالم الفكر الكويتية العدد الأول من المجلد السابع صفحة ٥٤: «اتفقت معظم النظم الاجتماعية والقوانين في الأمم الأوروبية على أن الزوج هو رئيس الأسرة... ففي المادة ٢١٣ من القوانين الفرنسية: يجب على الزوج صيانة زوجته، ويجب على الزوجة طاعة زوجها. وفي المادة ٢١٤ من هذا القانون: أن الزوجة ملزمة أن تسكن مع زوجها، وأن تنتقل معه الى أي مكان يؤثر الإقامة فيه، والزوج ملزم بحسن معاشرتها، وأن يقدم لها كل ما هو ضروري لحاجات الحياة في حدود مقدرته وحالته».

وهذا عين ما نص عليه القرآن منذ ١٣ قرناً. قال سبحانه: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾[٧ الطلاق]... ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾[١٩ النساء]﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾[٣٤ النسا].

ولا تفسير لهذا الوفاق والوئام بين القوانين الوضعية وتعاليم الإسلام إلا أن دين الإسلام هو دين الحياة، وشريعته حكاية لشريعتها، وإرشاد إلى قواعدها، وحث على العمل بها، وكل دين أو مذهب أو مبدأ لا يعكس الحياة العملية، فما هو بشيء لأن الحياة هي التي تستدعي وجود الأديان والمذاهب، وليست الأديان والمذاهب تخلق الحياة وتوجدها.

البنات حسنات

«البنات حسنات والحسنات يُثاب عليها. . . نعم الولد البنات ملطفات مجهزات مؤنسات مباركات. . . من رُزق من هذه البنات شيء فأحسن اليهن كن له ستراً من النار. . . من عالى ثلاث بنات وجبت له الجنة. فقيل: يا رسول الله واثنتين. قال: واثنتين فقيل يا رسول الله وواحدة. قال: وواحدة»

مجهزات: مهيآت لتدبير المنزل وتربية الأولاد وتمريض المرضى.

روى الرواة أن النبي (ص) رأى بعض أصحابه متغير الوجه فقال له: مالك؟ قال: خير. فأمره أن يقول فقال: ولدت أمرأتي جارية. فقال رسول الله (ص) الأرض تقلها والسماء تظلها، والله يرزقها، وهي ريحانة تشمها. وقال الإمام الصادق(ع) لرجل أصيب بهذا الداء: لو أن الله أوحى اليك أني سأهبك مولوداً فهل أختاره أنالك كما أشاء أو تختاره أنت كما تريد؟ فما كنت تقول؟ قال: كنت أقول: يا رب أنت تختار لي. قال الإمام ما فحواه من امتنع عن الاختيار فقد اختار أن لا يختار وإذن علام الهم والغم؟.

وأحاديث هذا الباب كثيرة وشهيرة ، وسببها الموجب أن البنت كانت آنذاك توأد خوف الفقر والعار، وإذا نجت من الدس حية في التراب فهي من سقط المتاع لا رأي لها ولا إرادة حتى في شؤونها الخاصة ، فأوضحت هذه الأحاديث إلى جانب آيٍ من الذكر الحكيم، أن الله سبحانه كرّم الانسان وأعلى شأنه من حيث هو انسان ذكراً كان أو أنثى، بل تمتاز هي عليه في العديد من الخصائص: : منها الأمومة، والجنة تحت أقدام الأمهات كما في الحديث حيث يعانين الشدائد حاملات ومرضعات، ومن هنا كان حقهن على الأولاد أعظم من حق الآباء.

ومنها أن أجرها عند الله سبحانه أكثر وأوفر من ثواب الرجل إذا هي أحصنت نفسها وأحسنت تدبير البيت وتربية الأولاد، ومنها أن الله يغفر لأبيها ويزيده من فضله إذا هو تلطف بها وعطف عليها، ومنها أن البنت ـ في الغالب ـ أبر بالوالدين من الابن هذا إلى أن الرجال منهم الفراعنة والجبابرة وقادة الضلال والفساد الذين طغوا في البلاد بإثارة الفتن والحروب تكالباً على الجاه والمال، وبالصدِّ عن آيات الله ورسله، وعن كل خير وصلاح، ولا بد للنسوة في شيء من ذلك، ولو من باب لا يظلم» وفي الحديث: من العصمة أن لا تجد.

وأخير هذه النفحة العاطرة من نبي الرحمة (ص) : «من اشترى فاكهة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج، وليبدأ أبا لإناث قبل الذكور، فإن من فرّح ابنته فكأنما اعتق رقبة. . . إن الله تعالى رحم بالإناث منه على الذكور، وما من رجل يُدخل فرحة على امرأة بينه وبينها حرمة إلا فرحة الله يوم القيامة».

الفصل الرابع

نظرة الإسلام
إلى الشيوعية والرأسمالية

رسالة الإسلام

ان التغيير والتبديل إنما هو في الأفراد لا في المفاهيم. إن الإسلام قد حث على العمل من أجل التطور والتحول، ولكن إلى الأحسن والأقوم، كما نصت الآية ٩ من الإسراء: ﴿ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ ومعنى هذا أن الإسلام مع ما ينفع الناس في جميع الحالات، ومهما تغيرت الأزمنة والبيئات.

وليس من شك ان الأنفع والأصلح لجميع الناس لا يتحقق ولن يتحقق إلا مع التعاون الشامل الكامل، وهذا النوع من التعاون لا يتحقق الا اذا التغت جميع الحواجز والفوارق وامتزج الماضي بالحاضر، والحاضر بالمستقبل، والشرق بالغرب والأسود بالأبيض، وعاش الكل تحت راية الواحد الأحد، هذا هو الأساس الذي بنى عليه الإسلام جميع أحكامه وتعاليمه: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان﴾ [٢ المائدة].. ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ [٣٢المائدة].

الإسلام يُقرّ كلّ جديد مفيد

باستطاعة الإنسان أن يفهم الحقائق الطبيعية، ويستغلّها لمصلحته، وله أن يضع لها ما يشاء من الأسماء، ويصفها بما يريد من الأوصاف، وليس له أن يشرع قوانين وأحكاماً، ثمّ يفسر الطّبيعة حسب قوانينه وأحكامه، كائناً من كان المشرّع، لأنّ التشّريع غير التّكوين، والنوّاميس الطّبيعية غير الأحكام التشّريعية. فالكلام عن أقصى مدة الحمل، وعن المرأة الحامل هل تحيض، أو لا تحيض، وما إلى ذلك ليس من مباحث التشّريع في شي..

أنّ الإسلام يترك الناس يختارون المعاملة التي يرون على شريطة أن لا تحلّل ما حرّم الله، أو تحرّم ما أحلّ، فكما أنّ الإسلام لم يفرض على الناس نوعاً خاصّاً من الزراعة والصناعة كذلك لم يفرض عليهم نوعاً معيّناً من أنظمة الاقتصاد. كان الحرث في الزمان الأول على الحيوان، وكان الحصاد والغزل بيد الإنسان فتطورت هذه إلى ما هي عليه اليوم، فهل في تطورها ما يتنافى مع الإسم ودعوته؟! بل هو عين ما يدعو إليه الإسلام، وكذا الحال بالقياس إلى كل ما من شأنه أن يرفع من مستوى الحياة، ويحسّن من أحوال النّاس، فإذا رأوا أنّ من صالحهم تحديد الملكية الزراعيّة، وحصر التجارة في نطاق خاص، فالشّرع يمضي هذا الرأي، ويوجب العمل به، كما يوجب العمل بكلّ تشريع يحارب الفقر والبطالة.

وليس من شك أنّ الإسلام يقرّ كلّ جديد مفيد يحقّق صالح الجماعة والفرد، قال الإمام جعفر الصادق (ع): «كلّ ما فيه صلاح للنّاس بجهة من الجهات فهو جائز». وهٰذا أصل من أُصول التشريع عند أئمة المذاهب كافة. فتأميم الكهرباء والماء وخطوط النقل والتعليم والطب، وما إلى ذلك مما فيه الخير العام جائز يقره الإسلام ويباركه، لأنّ الإسلام أقرّ وأمضى جميع أقوال النّاس وعاداتهم وأنظمتهم ما وُجد منها في عهد الرّسالة، وما يوجد بعدها ما دام لا يخرج عن القواعد العامة لا يحلّل الزنا والسّرقة والخيانة والظّلم والغشّ والخمر والميسر، وما إلى ذاك وأي نظام اقتصادياً كان أم سياسيّاً أم اجتماعياً تفرضه فئة مستثمرة فهو محرّم في نظر الإسلام.

الإسلام لا يبيح أن تعيش الجماعات والأفراد في ظلّ أنظمة تضرهم ولا تنفعهم، بهذا النّظر البصير العميق تكون الشّريعة الإسلامية شريعة الحياة بحق تدوم وتبقى بدوام الحياة وبقائها، فالشريعة التي لا تسند إلى عقيدة أتباعها وإيمانهم بأنّها وضعت لمنفعتهم ورفع مستوى حياتهم لا تكون شريعة لهم إلا بالاسم، إذ يعيشون عملياً بمعزل عنها، حتى هذا الاسم يكون عرضة للزوال والإنهيار إذا ظهرت شريعة أصلح وأنفع، فالتشريع وحده لا يخلق الإيمان في النّفوس، بل الإيمان بالمصلحة يخلق التشّريع، وإذا آمن قوم في الزّمان السّالف بنظام لأنّه يتّفق وأوضاعهم فإنّ هذا الإيمان لا تتوارثه الأجيال المتعاقبة إذا تغيّرت الأوضاع، وتبدلت الأحوال، ومن هنا كان نسخ الشرائع بعضها لبعض، واستبدال حكم بحكم في الشريعة الواحدة، كلّ ذلك رغبة في المصلحة والمنفعة الدنيويه.

وبهذا التفسير يظهر فضل الشّريعة الإسلامية، ومرونتها، ويصدق

القول: أنّ التشّريع الإسلامي يكفل حاجات المجتمع في كل زمان ومكان، أي يقرّ الأحكام الوضعية التي تكفل هذه الحاجات، وإذا تنافى حكم وضعي مع الصّالح العام يكون مشرعه والحاكم به، ومنفذه ممّن عناه الله بقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ الله فأولئَكَ هُمُ الكَافِرونَ﴾ أما القول: إنّ للإسلام نظاماً، وإنّ هذا النّظام هو الإشتراكية أو الديموقراطية أو الرأسمالية فاعتباط وتحمل، وماذا نصنع لو أثبتت التجارب فساد هذه الأنظمة كلاّ أو بعضاً، أو ظهر في المستقبل ما هو خير منها، فهل نعدل عن التفسير الأول، ونفسّر الإسلام بالفلسفة الجديدة، ونقول كلّ يوم بقول! فخير ألف مرة للإسلام أن نقول: إنّ كل نظام عادل قديماً كان أو حديثاً يرفع مستوى الحياة يحارب الفقر والجهل والمرض فهو متفق مع الإسلام وأُصول الإسلام ولا يضر بأحد.

في القرآن الكريم غنى عن الماركسية وغيرها

إنّ الإسلام قد أطلق الحريّة في القول والتّفكير إلى حدّ أنّ الله سبحانه لا يفرض الإيمان به وبكتبه وبرسله فرضاً من غير دليل .. إنّه تعالى يقيم الحجة على ما يقوله ويدعو إليه، ويطلب من كلّ عاقل أن ينظر فيها ويتدبرها.. وأوضح دليل على ذلك قوله تعالى:

﴿سَنُريهم آيتنا في الآفَاقِ وفي أَنْفُسِهِمْ حَتَىّ يَتَبَدينَ لَهُمْ أَنّه الحَقّ﴾ [٥٣ فصلت].

وقد سمح الله للملائكة أن يراجعوه ويقولوا له: ﴿أَتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ـ [٣٠ البقرة]. وأيضاً سمح للأنبياء في الجدال: ﴿فَلَمّا ذَهَبَ عَنْ إبْراهِيمَ الرَّوْعُ وَجَائَتْهُ البُشْرى يُجَادِلُنَا فيَ قَومِ لُوطٍ﴾ - [٧٤ هود]. بل سمح لإبليسَ أن يحتج لديه ويقول حين أمره بالسّجود لآدم: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَني مِنْ نَار وَخَلَقْتَهُ مِنْ طينٍ﴾ - [١١ الأعراف].

إن الإسلام الذي نقل أُمّة بكاملها مّن دياجير الجهالة والهمجية إلى نور الحضارة والمدنية، إن أول صيحة أيقظت العرب من جهلهم وسباتهم كانت باسم الله، وإنّ أول حضارة عمّت الشّرق والغرب

انتشرت تحت لواء ﴿لا إله إلا الله ومحمد رسول الله﴾ . أما النّهضة العربية في بداية القرن العشرين ضدّ الإستعمار والإقطاع فقد بعثها جمال الدّين الأفغاني باسم القرآن الكريم والنّبي العظيم.

وأيّ ذنب للإسلام إذا حرّفه العملاء والدّخلاء لصالح الإستعمار والصّهيونية، وقالوا للضّعفاء السذّج: إنّ الهزيمة والعبوديّة والجهل والفقر بقضاء الله وقدره؟.

.. فلقد ابتلى رسول الله والصّحابة بقوم لا يفهمون إلا بلغة القوّة تماماً كما ابتلى العرب بإسرائيل والولايات المتحدة التي لا تفهم إلا بمنطق القوّة فقال سبحانه وتعالى لنبيّة الكريم ولمن آمن برسالته: ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة﴾ . .

وبعد فإن الإيمان بالله وعدالته لا ينفك أبداً عن الإيمان بالإنسان وخدمته وكرامته، كما أنّ الإنسانية لوجه الإنسانية لا تنفك أبداً عن المعنى الروحيّ الإلهي . . أما الإيمان بالإسلام فهو إيمان بأن الدّين عند الله هو دين الحياة، وإليك الدليل على هذه الحقيقة من القرآن الذي قال بسهولة ووضوح: ﴿يا أيّها الّذينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وللرّسُولِ إذا دَعَاكُمْ لما يُحيِيكُمْ﴾ - [٢٣ الأنفال]. ومعنى هذا أنّ كل ما فيه خير وصلاح فهو من الإسلام في الصّميم. وأنّ أيّ إنسان يدعو إلى حياة لا مشاكل فيها ولا تعقيد فإنّ دعوته تلتقي مع دعوة الله والرّسول أراد ذلك أم لم يرد.

وقال: ﴿أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوا الجَنّةَ ولَمّا يَعْلَم الله الّذينَ جَاهَدُوا منْكُمْ ويَعْلَمَ الصّابِرينَ﴾ - [١٤٢ آل عمران] أي الصّابرين صبر الأقوياء المجاهدين الذين يرفضون الذّل والإستسلام لا صبر الأذلاء

الخانعين. وقال: ﴿أُذِنَ للذينَ يُقَاتِلُونَ بأنّهُمْ ظُلِمُوا وأنّ الله علَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَديرٌ﴾ - [٣٩ الحج] أذن لهم بقتال المعتدين ووعدهم بالنصر. بعدَ أن تجاوزوا مرحلة الصمود والسلام إلى مرحلة الهجوم.

ولو تشبّع الماركسي أو الرأسمالي بالقرآن وتعاليمه الإنسانية لوجد فيه حلولاً جاهزة لجميع مشاكل الإنسان، ولأيقن أنّه في غنىً بالإسلام، دين آبائه وأجداده عن الماركسية وغيرها. . وتمنّيت لو درس المثقف هذه الحلول درساً علمياً ونزّهها عن تحريف العملاء والدخلاء الّذين اتخذوا من هذا التّحريف ذريعة للتّعاون الذّليل الدنيء مع المعتدين. . ولو فعل لهدّ ركناً من أركان الإستعمار والضّلال. . ولا شيء أدلّ على ذلك من تحريف إسرائيل لكلمات القرآن الكريم خوفاً من مبادئه وتعاليمه، وطبع الألوف من النسخ المحرّفة وتوزيعها بالمجان أو بأبخس الأثمان عن طريق أحبابها وأذنابها. ومن غريب الصّدف أنّي في اللحظة التي انتهيت فيها من كتابة هذه الكلمة قرأت في جريدة الجمهورية المصرية تاريخ ٦ - ١ - ٧٠ : أنّ إسرائيل تذيع القرآن من محطاتها محرّفاً في آياته وأنّ أحد زعماء الصّهيونية قال بالنّص : «يجب أن نتخذ القرآن سلاحاً مشهوراً ضد الإسلام لنقضي عليه فيرى المسلمون أنّ الصّحيح في القرآن ليس جديداً وأنّ الجديد فيه ليس صحيحاً».

نظرة الاسلام
إلى الرأسمالية والاشتراكية

إن للرأسمالية جذوراً وانصاراً في التاريخ، والشواهد على ذلك من الآثار لا يبلغها الاحصاء. . وهذه الرأسمالية تطلق للفرد الحرية الكاملة في تحصيل الثروة واستغلالها في مشاريع السلب والنهب، وأوضح تعريف لها قول المترفين لشعيب: ﴿أو أن نفعل في اموالنا ما نشاء﴾. فليس مرادهم بهذا أن ينفقوا اموالهم في المأكل والملبس. . كلا، وانما مرادهم أن يستغلوا اموالهم في السيطرة على الناس، والتحكم بأقواتهم.

وكما دل التاريخ على أن الانسان قديم العهد بهذه الرأسمالية فقد دل أيضاً على أنه قديم العهد بالاشتراكية، فقد جاء في دروس التاريخ للمؤرخ «ديورانت» : ان الباحثين قد عثروا على لوحة سومرية يرجع تاريخها الى ٢١٠٠ قبل الميلاد، تقول: كانت الدولة هي التي توجه الاقتصاد القومي. وان في بابل سنة ١٧٥٠ قبل الميلاد هي التي توجه الاقتصاد

وكما دل التاريخ على أن الانسان قديم العهد بهذه الرأسمالية فقد دل أيضاً على انه قديم العهد بالاشتراكية، فقد جاء في دروس التاريخ

للمؤرخ «ديورانت» ان الباحثين قد عثروا على لوحة سومرية يرجع تاريخها الى ٢١٠٠ قبل الميلاد، تقول: كانت الدولة هي التي توجه الاقتصاد القومي. وان في بابل سنة ١٧٥٠ قبل الميلاد كان قانون حامورابي يحدد أسعار كل شيء. وأن في عصر البطالة سنة ٣١٣ قبل الميلاد كانت الدولة تملك الأرض، وتدير الزراعة، الى غير ذلك.

والاسلام يرفض كلاً من الاشتراكية والرأسمالية بمعناهما الشائع اليوم، ويقر كل ما من شأنه أن يواجه الصعاب، ويحل مشكلات الحياة، دون أن يبخس الناس اشياءهم.

فالآيات والأحاديث تفيد أن الاسلام لا يقر ملكية الانسان للمال بشتى معانيها، سواء أكانت الملكية فردية مطلقة، كما هي في المذهب الرأسمالي، أو ملكية مقيدة، كما هي في المذهب الاشتراكي، أو ملكية جماعية، كما هي في المذهب الشيوعي.. كل هذه الأنواع للملكية ينفيها الاسلام، ويحصر الملك الحقيقي بالله وحده، ولكنه سبحانه قد أباح للانسان أن يتصرف هذا المال، وينفقه على نفسه وأهله بالمعروف، وفي سبيل الخير، على شريطة أن يصل اليه عن طريق ما أحله الله، لا عن طريق ما حرم ونهى، كالغش والخداع، والنهب والسلب، والرشوة والربا والاحتكار والاتجار بالمسكرات والمحرمات، فالاذن بالاستيلاء على المال محدود بحدود، والأذن بالتصرف فيه أيضاً محدود ضمن نطاق خاص.

والخلاصة ان الاسلام اباح للانسان حيازة المال بشروط خاصة، وانفاقه ضمن نطاق معين، وشدد على مراعاة تلك الشروط في هذا النطاق، وحرم التجاوز عنهما، وهذا وحده كاف وصريح في الدلالة على ان الانسان وكيل على المال، لا أصيل، والا جاز له التصرف بلا

قيد ولا شرط. وخير ما نختتم به هذا الفصل قول الإمام جعفر الصادق (ع): المال مال الله وهو ودائع عند عباده، وجوز لهم أن يأكلوا قصداً - أي مقتصدين - ويلبسوا قصداً ، وينكحوا قصداً، ويركبوا قصداً، ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين، ويلمو به شعتهم، فمن فعل ذلك كان ما يأكل حلالاً ويشرب حلالاً ، ويركب وينكح حلالاً ، وما عدا ذلك كان عليه حراماً.

رأيّ في الرأسمالية والشيوعية

نحن ضد الرأسمالية الطاغية البشعة، وضد كل نظام يقوم على تنازع البقاء الأقدر أو فيه شائبة من ظلم واستغلال. . وأيضاً نرفض الشيوعية لا لأنها ملحدة وكفى ، بل لأنها توغل في المادية، وتنكر الروح نكراناً تاماً، وتنظر الى الانسان على أنه مجرد آلة يجب أن يعمل ليعيش ،وتجعل الانتاج الاقتصادي هو الأصل للأديان والاخلاق، وتمنح السلطة لفئة خاصة من الاعضاء الحزبيين على حياة الناس بشتى جوانبها، ولا تسمح لأي مواطن أن يقوله لها «لا» وأن كان محقاً.

أقول هذا عن علم وبعد أن قرأت في هذا الباب عشرات الكتب والمقلات، وأختار للقارىء من مطالعتي في هذا الموضوع هذه الجملة القصيرة للدكتور طه حسين، جاءت في كتابه الفتنة الكبرى (عثمان) وهذا نصها:

قد ضمنت الرأسمالية للناس شيئاً من الحرية، وقليلاً من المساواة أمام القانون، ولكنها لم تضمن لهم من العدل الاجتماعي شيئاً، والشيوعية قد ضمنت للناس قليلاً أو كثيراً من العدل الاجتماعي، فألقت ما بينهم من فروق، واتاحت للعاملين منهم ان يعملوا وينتفعوا بثمرة عملهم، وأتاحت للعاجزين منهم ان يعيشوا غير معرضين لذلة أو ضعة أو هون، ولكنها ضحت في سبيل ذلك بحريتهم كلها فلم تدع لهم منها شيئاً، والفاشية قد ضحت بالحرية والعدل جميعاً».

أبداً لا يجد الإنسان ولن يجد ضماناً لحقوقه الطبيعية إلا الإسلام الذي حدد رسالته بهذه الكلمات الثلاث: ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ [١٥٧ الأعراف] والطيبات تعم المال الحلال الذي لا يكون على حساب الآخرين قال سبحانه: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ [٣٩ النجم]. والخبائث تشمل المال الحرام ومنه الاحتكار والاستغلال.

أما وضع الأثقال والاغلال فانه اشارة الى حرية الإنسان وقداستها قال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ [٧٠ الاسراء]. والكرامة ترادف الحرية حيث لا كرامة ولا إنسانية بلا حرية. وأيضاً قال: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ [١٤ القيامة]. والمعنى لا سلطان عليه ولا قائد له إلا نفسه وعقله وضميره.

وبعد، لقد كرم الإسلام الطبيعة البشرية على العموم والشمول بلا تمييز في عنصر ولون وجنس، ووضع الجميع في مستوى واحد في الحقوق والواجبات، واعتبر الإنسان من حيث هو إنسان القيمة العليا، وجعل كل شيء لخدمته قال عز من قائل: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ [٢٩ البقرة]. ولكن الولايات المتحدة جاءت بجديد هو أسمى وأعلى وأجدى للإنسانية وأبقى، جاءت بقنبلة «النيوتريون» التي تقتل كل الناس الذين تقع عليهم، ولا تمس بأي سوء وأذى المؤسسات والمباني والممتلكات. وهكذا علم الله الإنسان ما لم يعلم ليدمر الإنسانية، ويبقي لها كل أملاكها وأموالها ! !.

الإسلام وقادة الفكر الأوروبي

(انه لقرآن كريم). أجل. ان القرآن كريم يغني عن كل مرشد ودليل، ويشفي من داء الجهل والضلال، ويهدي الى منازل الكرامة والسلامة، ويحرر من قيود الظلم والعبودية.. أما السر لأوصافه هذه وكثير غيرها فلأن القرآن الكريم يستجيب لكل حاجة من حاجات الحياة، ويربط الدين بالعمل في الدنيا لحياة طيبة عادلة لا مشاكل فيها ولا عدوان.. حتى سعادة الآخرة لا ينالها إلا من أخلص وعمل صالحاً. أبداً لا طريق الى الله، ولا الى النجاة من غضبه وعذابه الا العمل النافع ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ [١٨ الرعد].

ومن هنا أجمع المسلمون قولاً واحداً علي ان الله سبحانه ما شرع ولن يشرع حكماً إلا لخير الإنسان ومصلحته، وانه من المستحيل أن يشرع حكماً فيه ضرر على أحد أياً كان، وانه إذا نسب الى شريعة القرآن حكمٌ لا يتفق مع هذا المبدأ فهو من جهل الجاهلين أو دسائس الوضاعين، أما الآيات الدالة على ذلك فتعد بالعشرات، منها قوله تعالى على لسان نبيه شعيب: ﴿ان اريد إلاّ الإصلاح﴾ [٨٨ هود]. وقوله: ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم﴾ [٧ المائدة] وقوله: ﴿ان الله بالناس لرؤوف رحيم﴾

[١٤٣ البقرة]. وقوله: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [٣٠ الروم].

هذا هو الإسلام في حقيقته وواقعه، وفي كتاب الله وعلمه، لا شيء فيه إلا ما يحتاج إليه الإنسان ويطلبه بغريزته وفطرته النقية الصافية التي ولد عليها، وتميز بها جميع الكائنات، لا ما يتطلبه الطمع والجشع، والبغي والعدوان. وقد أدرك هذه الحقيقة الكثير من فلاسفة الغرب وشعرائه وأدبائه، فأكبروا الإسلام وأشادوا بالرسول الأعظم (ص) لا لشيء إلا بدافع من حب الخير والحق والعدل، ولو اتسع لنا المقام لذكرنا الكثير من أقوالهم، ولكن ما لا يدرك كله أو جله فلا يترك كله، ونختار من بين أولئك الأعلام: **«جوته» الألماني و«لامرتين» الفرنسي و«تولستوي» و«برنارد شو» الأنكليزي، وهم كما نرى مختلفون في ثقافتهم وقوميتهم واتجاهاتهم.**

قرأ «جوته» الشاعر الألماني الكبير ـ الفران، وادرك ما فيه فأكبره واحتفل بليلة القدر التي نزل فيها القرآن، وقرأ تاريخ الرسول الكريم (ص) فألف النشيد المحمدي، وكتب مسرحية محمد (ص)، ومن أقواله: إذا كان الإسلام هو التسليم لله لا للأهواء والأغراض ففي الإسلام نحيا، وعليه ونموت

وقال «لامرتين» شاعر فرنسا العظيم: «ان كل ما في حياة محمد(ص) يدل على انه لم يكن يضمر خداعاً أو يعيش على باطل. . . انه هادي الإنسان الى العقل، ومؤسس دين لا فرية فيه».

وقال «تولستوي» الفيلسوف الروسي الإنساني: «مما لا ريب فيه ان

محمداً خدم الهيئة الاجتماعية خدمات جليلة، ويكفيه فخراً أنه هدى مئات الملايين الى نور الحق والسكينة والسلام، ومنح للإنسانية طريقاً للحياة، وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا إنسان أوتي قوة وإلهاماً وعوناً من السماء».

وقال برنارد شو الأديب الانكليزي العالمي: «يجب ان يدعى محمد منقذ الإنسانية .. انني أعتقد انه لو تولى رجل مثله زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشاكله بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة .. ان محمداً هو أكمل البشر من الغابرين والحاضرين، ولا يتصور وجود مثله في الآتين».

وقول برنارد شو: «محمد أكمل البشر من الغابرين والحاضرين» معناه ان رسالة محمد (ص) لا تغني عنها اية رسالة من رسائل الأنبياء السابقين.. حتى عيسى وإبراهيم. أما قول برنارد شو: «ولا يتصور وجود مثل محمد في الآتين» فمعناه لا أحد يستطيع بعد محمد أن يأتي الإنسانية بجديد يفيدها وينفعها أكثر مما أتى به محمد، ومعناه أيضاً ان دعوة محمد ودين محمد يغني عن كل دين وكل دعوة وشريعة ونظام، ولا يغني عنه شيء.

وكلنا يعلم أن برنارد شو في طليعة قادة الفكر الأوروبي في القرن العشرين، عصر الذرة والفضاء وان شهادته هذه هي نتاج البحث الطويل، والتفكير العميق، والتحليل الدقيق، وهذه الشهادة من برنارد شو هي تعبير ثان أو تفسير لقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [١٠٧ الأنبياء]. أي كل العالمين في كل زمان وكل مكان. وأيضاً هي تفسير لقوله سبحانه: ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ [٤٠ الأحزاب]. وأيضاً هي أي شهادة برنارد شو دليل قاطع على صدق

المسلمين في عقيدتهم «بأن محمداً هو أكمل البشر من الغابرين والحاضرين، ولا يتصور وجود مثله في الآتين».

وبعد، فما هو رأي الشباب المتنكرين لدين آبائهم وأجدادهم ؟ ما رأيهم في آراء قادة الفكر الأوروبي وقول برنارد شو؟ وهل هم أعلم وأحرص منهم على الإنسانية أم ان شبابنا يتكلمون بوحي من أعداء الإسلام والإنسانية من حيث لا يشعرون ؟.

الشباب والدين

من الأشياء الهامة التي يؤاخذ الشباب عليها تهاونهم في أمر الدين حتى ظن الناس بهم الظنون، وقد يراهم البعض أنهم يحقدون على الدين وأهله.

بماذا نفسر هذا التهاون وعدم المبالاة ؟ أنفسره بأن الدين قديم، وكل قديم جحيم وكل جديد نعيم ؟ أنفسره بأن الدين لا يتمشى مع روح العصر الحديث؟ لو تلفظ جاهل بهذا القول ثم لم نزد على جوابه إلّا أن عذره جهله لكان الجواب كافياً شافياً، ولو كان له أدنى خبرة بأسرار الدين وغاياته لما نطق بكلمة الكفر.

إن القديم والحديث وضعان عارضان لا أثر لهما في قيمة الأشياء ووزنها، وإنما يقاس الشيء بفعاليته، ونتائجه، وآثاره، وبمنافعه ومقدار الحاجة إليه، وضوء الشمس مثلاً قديم ولكن لا غنى للحياة عنه، والماء متقدم في الوجود عن الشمس إلا أنه سبب الإحياء والنمو. والدين أيضاً ضرورة مادية وروحية للإنسان تنّظم حياته البشرية.

لقد نظر الدين الإسلامي إلى الحياة نظرة عامة وشمولية ولم يفصل ترابط الأجزاء بين القديم والحديث. لم يزل الباحث العلمي ينحني احتراماً للإسلام.

سلاحنا القرآن

لا أدري ماذا نعني بالقومية العربية، هل نعني تناحر القبائل في الجاهلية، أم التذابح القائم الآن في لبنان منذ خمس سنوات - ١٩٧٩ - وأكثر من نظام عربي يشارك في ذبح لبنان والعرب الآخرين يتفرجون عليه. أم نعني بالقومية العربية الحرب بين شطري اليمن، أو القتال بين المغرب والجزائر والصحراء ربما القومية تعني الحشود العسكرية بين ليبيا ومصر أو العداء المستحكم بين العراق وسوريا بينما إسرائيل تحتل الجولان، أو أن القومية العربية تعني تمزق وتشرذم وتشتت ١٥٠ مليون عربي في عشرين دولة تقطّع أوصالها السدود والحدود.

ألسنا نحن العرب عنوان العار البشري في القرن العشرين؟ وأي فرق بين أن تتحكم بأمتنا العربية الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي وأن نكون أذناب المذلة والإستسلام للأسياد؟ وأي فرق بين أن تطأ إسرائيل بحذائها على أنوفنا واغتصابها لشبر من أرضنا ومقدساتنا؟.

وأخيراً هل من أحد في العالم يشك أن العرب لولا محمد بن عبد الله (ص) ولولا دين الإسلام لما كان لهم كيان وذكر في التاريخ. إن محمداً (ص) هو بطل العرب الأوحد، لم يأت الزمان بعربي مثله لا في الأولين ولا الآخرين.

ألسنا نحن مسلمي العالم وعرب الشرق الأوسط نملك أخطر سلاح على الإطلاق، الا وهو القرآن الكريم نذب به عن كياننا وكرامتنا، ولكننا تخلينا عن هذا السلاح، تخلينا عن كلمة الله، عن مبادىء وتعاليم القرآن، وآثرنا الهزيمة لأننا اتبعنا النظريات المادية من اشتراكية ورأسمالية وغيرهما، ومعظم أصحاب هذه النظريات ومخترعيها من اليهود ويستحيل أن يكون هذا الأمر محض مصادفة.

لا سبيل الى النصر والخلاص إلاّ بالجهاد والتضامن والتضحيات تحت راية الإسلام، هذه هي الخطة، نفس الخطة التي رسمها سبحانه وتعالى للمجاهدين من أجل الحرية﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾. إن خلاص العرب والمسلمين هو في الرجوع إلى الإسلام الذي يصلح لكل زمان ومكان.

الفهرست

الفصل الأول
«نبوّة محمّد»

الفصـــل الثانـــي
«في العقيدة والسلوك»

الفصل الثالث
«الحياة الزوجية»

الفصـل الرابع
«نظـرة الإسلام
الى الشيوعية والرأسمالية»

مؤلفات الشيخ محمد جواد مغنية

١ ــ المرآة.

٢ ــ الكميث.

٣ ــ الأحكام الشرعية للمحاكم الجعفرية.

٤ ــ التضحية.

٥ ــ من زوايا الأدب.

٦ ــ الوضع الحاضر في جبل عامل. أول كتاب نُشر للمؤلف.

٧ ــ الفصول الشرعية.

٨ ــ مع الشيعة الإمامية.

٩ ــ الإثنا عشرية وأهل البيت.

ونشرت دار التعارف ببيروت هذه الكتب الثلاثة الأخيرة في مجلد واحد باسم الشيعة في الميزان.

١٠ ــ أهل البيت.

١١ ــ الشيعة والحاكمون.

١٢ ــ الإسلام والحياة.

١٣ ــ الله والعقل.

١٤ ــ شبهات الملحدين والإجابة عنها.

١٥ ــ النبوة والعقل

١٦ ــ الآخرة والعقل.

١٧ ــ المهدي المنتظر والعقل.

١٨ ــ إمامة علي والعقل.

١٨ ــ علي والقرآن .
٢٠ ــ الحسين والقرآن.
٢١ ــ مفاهيم إنسانية في كلمات الإمام الصادق.
٢٢ ــ بين الله والإنسان.
٢٣ ــ الإثنا عشرية.

ونشرت دار التعارف هذه الكتب الإحدى عشر الأخيرة في مجلد واحد باسم عقليات إسلامية.

٢٤ ــ مذاهب ومصطلحات فلسفية.
٢٥ ــ الفقه على المذاهب الخمسة قسم العبادات.
٢٦ ــ الحج على المذاهب الخمسة.
٢٧ ــ الزواج والطلاق على المذاهب الخمسة.
٢٨ ــ الوصايا والمواريث على المذاهب الخمسة.
٢٩ ــ الوقف على المذاهب الخمسة.

ونشرت دار العلم للملايين هذه الكتب الخمسة الأخيرة في مجلد واحد باسم الفقه على المذاهب الخمسة.

٣٠ ــ قيم أخلاقية في فقه الإمام الصادق.
٣١ ــ فضائل الإمام علي.
٣٢ ــ دول الشيعة.
٣٣ ــ علي والفلسفة.
٣٤ ــ معالم الفلسفة الإسلامية.
٣٥ ــ نظرات في التصوف .
٣٦ ــ فلسفة المبدأ والمعاد.
٣٧ ــ فلسفة التوحيد والولاية.

٣٨ ـ الإسلام بنظرة عصرية. **دار العلم للملايين.**

ونشرت دار التعارف هذه الكتب الستة الأخيرة في مجلد واحد باسم فلسفات إسلامية.

٣٩ ـ المجالس الحسينية.

٤٠ ـ مع بطلة كربلاء.

ونشرت دار التعارف هذين الكتابين الأخيرين في مجلد واحد باسم الحسين وبطلة كربلاء.

٤١ ـ مع علماء النجف.

٤٢ ـ هذه هي الوهابية.

٤٣ ـ من هنا وهناك.

٤٤ ـ الوجودية والغثيان.

٤٥ ـ فقه الإمام الصادق. **ثلاثة مجلدات، دار العلم للملايين.**

٤٦ ـ التفسير الكاشف. **سبع مجلدات، دار العلم للملايين.**

٤٧ ـ في ظلال نهج البلاغة. **أربع مجلدات دار العلم للملايين.**

٤٨ ـ فلسفة الأخلاق في الإسلام. **دار العلم للملايين.**

٤٩ ـ علم أصول الفقه في ثوبه الجديد. **دار العلم للملايين.**

٥٠ ـ أصول الاثبات في الفقه الجعفري. **دار العلم للملايين.**

٥١ ـ التفسير المبين على هامش القرآن الكريم.

٥٢ ـ تفسير الصحيفة السجادية.

٥٣ ـ من ذا وذاك.

٥٤ ـ صفحات لوقت الفراغ.

٥٥ ـ تجارب محمد جواد مغنية بقلمه.

٥٦ ـ **نفحات محمّدية.**